بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي شرع لنا دينًا قويمًا، وهدانا صراطًا مستقيمًا، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأفاض على عباده النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، فهو العادل في حكمه، والقاضي بين عباده بعلمه، القائل في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]؛ فسبحانه!! قد أعْذب مورد الشريعة لكل وارد، وسهَّل صراطها المستقيم لكل راغب وقاصد، ووسَّع دائرة معارفها وأحكامها؛ فأصبحت بمصالح الخلق محيطة، وأغزر مواد كلياتها فغدت بجزئيات الوقائع منوطة، وأسس بنيانها على قواعد العدل والإنصاف وإيصال الحقوق. سبحانه!!! ساوى في كفة ميزان عدله بين العالي والنازل، والشريف والوضيع، وألغى الفوارق، وجعلها شريعة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، ولائقة للبعيد والقريب من الأقطار والأمصار.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونثني عليه ثناء يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله ﷺ شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، وآتاه شريعة غراء، فأنار لنا بها السبيل، وأرشدنا إلى أصح الأقوال، وأسد الأفعال، وأحكم لنا الأحكام، وميز لنا الحلال من الحرام.

وبعد:

فإن علم الفقه من مفاخر الأمة الإسلامية، وهو من أعظم العلوم الشرعية قدرًا، وأجلها نفعًا، وهو وغيره من علوم الشريعة الإسلامية الحصن الحصين الذي يلوذ به

من يرجو السعادة في الدنيا والفوز بالجنة في يوم الدين؛ لأن هذه الشريعة الغراء هي الصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان؛ نظرًا لما تنطوي عليه من آداب وسلوكيات وأحكام تنظم العلاقات بين جميع البشر، بغض النظر عن اختلاف جنسياتهم ولغاتهم وأصولهم، فالكل أمام أحكام الشريعة الإسلامية سواء.

ويأتي علم الفقه بالمحل الأسمى بين علوم الشريعة؛ حتى إن كثيرًا من الناس يستعملون الفقه مُرادفًا للشريعة؛ ولا عجب في ذلك حيث يدور موضوع هذا العلم حول الأحكام العملية المُتعلقة بأعمال المُكلفين: العامة منهم والخاصة، يشرح لهم أمور دينهم ودنياهم، ويبين لهم عباداتهم ومعاملاتهم، فلا يستغني عنه أحد، ولا يخلو من الحاجة إليه إنسان.

لذا كان من الأهمية بمكان أن تتوافر جهود العلماء والباحثين والمُحققين، وكل من أخلص لهذه الشريعة الغراء -على نشر هذا العلم بالتأليف والتحقيق المُتقن لذخائر التراث، التي تحوي مؤلفات فقهية عظيمة القدر؛ جليلة النفع، لعلماء أجلاء أفذاذ، قلما يسمح الدهر بأمثالهم.

ومن بين هذه الكتب هذا الكتاب الذي أعانني الله ووفقني على تحقيقه، وإخراجه على هذه الصورة - التي أرجو الله أن تكون مقبولة وأن ينفع بها سائر المسلمين.

وحتى يكتمل النفع من الكتاب، وتحصل الألفة بينه وبين قارئه، فقد حرصت على أن أضع بين يدي القارئ الكريم مقدمة تعرفه بأهمية هذا السفر الجليل، ومنزلة مؤلفه، وعلو قدره بين العلماء، وتلقي الضوء على منهجه في التأليف، وغير ذلك مما رأيت فيه زادًا نافعًا للقارئ وهو يدخل إلى عالم هذا السفر العظيم.

وقد اقتضى ذلك أن أقوم بالتعريف بمذهب الكتاب وهو المذهب الشافعي من خلال ترجمة الإمام الشافعي -رحمه الله، والحديث عن تكوين مذهبه وأصوله وطابعه، ثم قدمت ترجمة للإمام الشيرازي صاحب المتن المشروح، تليها ترجمة لابن الرفعة صاحب الشرح، ثم ترجمة للإمام الإسنوي الذي زين هذا الكتاب بحاشية مفيدة، ألحقناها به.

والله من وراء القصد.

* * *

المبحث الأول

ترجمة الإمامِ الشافعِي ومكانته العلمية:

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه(١):

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي.

الإمام، العَلَمُ، أبو عبد الله، الشافعي، المكِّي، المُطَّلبي، الفقيه، نسيب رسول الله ﷺ.

والسائب بن عبيد المطَّلبي الذي ينسب إليه إمامنا: هو أحد من أسر يوم «بدر» من المشركين، وكان يشبَّه بالنبي ﷺ، ويلتقي نسبه معه في عبد مناف.

وأمه هي: الشَّفَّاء بنت أرقم بن نَضْلَةَ، أخي عبد المطلب، من بني هاشم، ويقال: إنه أسلم بعد أن فدى نفسه. ولابنه شافع رؤية. وعثمان ابن شافع معدود من التابعين.

وكانت أم الشافعي أزدية.

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد الشافعي -رحمه الله تعالى- بـ «غزة» سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة، رضي الله عنه.

---

(١) ينظر: التاريخ الكبير (١/ ٤٢)، والجرح والتعديل (٧/ ٢٠١)، وحلية الأولياء (٩/ ١٦١٦٣)، والانتقاء (١٢١٦٥)، وتاريخ بغداد (٢/ ٧٣٥٦)، وطبقات الفقهاء للشيرازي (٥٠٤٨)، والأنساب (٧/ ٢٥١٢٥٤)، و(١٥/ ١٢٥)، وصفة الصفوة (٢/ ٩٥)، ومعجم الأدباء (١٧/ ٢٨١٣٢٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ٤٤٦٧)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٦٣١٦٩)، والمختصر في أخبار البشر (٢/ ٢٨٢٩)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٦١٣٦٣)، والكاشف (٣/ ١٧)، والوافي بالوفيات (٢/ ١٧١١٨١)، ومرآة الجنان (٢/ ١٣٢٨)، وطبقات الشافعية للسبكي: انظر الجزء الأول، والديباج المذهب (٢/ ١٥٦١٦١)، وغاية النهاية (٢/ ٩٥)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥)، والنجوم الزاهرة (٢/ ١٧٦،١٧٧)، وطبقات الحفاظ (١٥٢)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٠٣٣٠٤)، وطبقات المفسرين (٢/ ٩٨)، ومفتاح السعادة (٢/ ٨٨٩٤)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣٢٥)، وطبقات الشافعية لابن هداية الله (١١١٤)، وشذرات الذهب (٢/ ٩١١).

وقد سبقت مولده بشائر فضله؛ كما يدل لذلك ما روي أن أمه لما حملت به رأت كأن المُشْتَرِي خرج من فرجها حتى انقضَّ بـ «مصر»، ثم وقع في كل بلد منه شَظِيَّة، فتأوّل المعبِّرون ذلك بأنه يخرج منها عَالمٌ يخص علمه أهل «مصر»، ثم يتفرق في سائر البلدان، فكان هذا المولود هو الشافعي، رضي الله عنه.

وقد حُمل الشافعي إلى «مكة»، وهو ابن سنتين، فنشأ بها يتيمًا في حجر أمه في قلة من العيش، وضيق حال، وكان في صباه يجالس العلماء، ويكتب ما يستفيده في العظام، ونحوها، حتى ملأ منها خبايا.

وأقبل على الأدب والعربية والشعر، فبرع في ذلك، وحُبِّبَ إليه الرمي، حتى فاق الأقران، وصار يصيب من العشرة تسعة.

ثالثًا: شيوخه:

كان الشافعي -رضي الله عنه- في ابتداء أمره يطلب الشعر، وأيام العرب، والأدب، ثم أخذ في الفقه بعد ذلك، وكان سبب أخذه فيه أنه كان يومًا يسير على دابة له، وخلفه كاتب لأبي مصعب بن عبد الله الزبيري، فتمثل الشافعي ببيت شعر، فقرعه كاتب أبي مصعب بسوطه، ثم قال له: مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا؟! أين أنت من الفقه؟! فهزّ ذلك الشافعي وجعله يتحول إلى طلب العلم والفقه، فقصد مجالسة الزنجي مسلم بن خالد، وكان مفتي مكة، ثم لازم مالك بن أنس في المدينة بعد ذلك، وكان عمره ثلاث عشرة سنة.

رابعًا: رحلاته:

رحل الإمام الشافعي إلى المدينة؛ لكي ينهل من الإمام مالك بن أنس، وكان لهذه الرحلة الأثر البالغ في حياة الإمام، فقد درس على يده الموطأ وأعجب به الإمام مالك؛ لقوة حفظه، وحسن فهمه، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي نفسه: «أتيت مالكًا، وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ابنُ عمٍّ لي والِيَ «المدينة»، فَكَلَّم لي مالكًا، فأتيته، فقال: اطلب من يقرأ لك، فقلت:أنا أقرأ، فقرأت عليه، وكان ربما قال لي لشيء مرَّ: أعده، فأعيده حفظًا، فكأنّه أعجبه، ثم سألته عن مسألة فأجابني، ثم أخرى، فقال: أنت تحب أن تكون قاضيًا!».

كما التقى الشافعي -أيضًا- بمشايخ المدينة المنورة واستوعب ما لديهم من العلوم الشرعية.

ثم رحل إلى اليمن والعراق، ومكث في بغداد حقبة من الزمن، قام فيها بنشر مذهبه والدفاع عنه، وهناك صنَّف الحجة، والمبسوط، والرسالة، وغيرها.

ثم رحل إلى مصر، وكانت نفس الإمام تتوق إليها، وإلى الإقامة بها.

وفيها أعاد النظر في كتابَي الحجة والمبسوط، فألَّف «الأم» وهو يشتمل على كتب متعددة في غاية النفاسة.

وكان يقوم بشرح هذه الكتب، وغيرها من العلوم في مسجد عمرو بن العاص بعد أن يصلي الفجر، ويتحلق الناس حوله.

خامسًا: تلاميذه والرواة عنه:

روى عن الشافعي -رحمه الله-: الحُميدي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وأبو ثَوْرٍ، والبويطي، وحرملة، والمزني، والكرابيسي، والزعفراني، وابن عبد الحكم، والربيع المرادي، وابن الجارود، وغيرهم.

سادسًا: حِفْظُه للقُرْآنِ وتِلاوَتُهُ لَهُ:

يقول الإمام الشافعي -رضي الله عنه-: «حفظت القرآن، فما علمت أنه مرَّ بي حرفٌ، إلا وقد علمت المعنى فيه والمراد منه، ما خلا حرفين...».

وقال الكرابيسي: بتُّ مع الشافعي غير ليلةٍ، وكان يصلِّي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمرُّ بآية رحمةٍ إلَّا سأل الله، ولا يمرّ بآية عذاب إلاَّ تَعوَّذ منها.

وقال الربيعُ: كان الشافعي يختم القرآن ستين مَرَّةً في رمضان، وكان من أحسن الناس قراءةً.

قال بَحْرُ بن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي، قال بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المُطَّلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه، استفتح القرآن، حتى يتساقط الناس، ويكثر عجيجُهم بالبكاء من حسن صوته، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة.

سابعًا: أَوْصَافُهُ وَخِصَالُهُ:

كان الشافعي طويلًا، نبيلًا، جسيمًا، ويخضب بالحنَّاءِ، خفيفَ العارضين.

قال المزني: ما رأيت أحسنَ وجهًا من الشافعي، وكان ربما قبض على لحيته فلا تفضل عن قبضته.

ثامنًا: مكانته العلمية:

اجتمع في الشَّافعي -رضي الله عنه- من أَلْوَان الثقافة والعلم والمعرفة[(١)]- ما لم يَجتمع في غيره من الأئمة؛ لأمرين:

أحدهما: عقليته الكامِلَة التي أعانته على الاستِفَادة من كل ما يحيطُ به، ولقد صدق القَاسِم بن سلام، حيث يقول: «ما رأيت رجلًا قَطُّ أعقل من الشَّافعي».

وثانيهما: كثرة أسْفَاره إلى «اليمن»، و «العراق»، و «مصر»، واتصاله بالعلماء في هذه البلاد وغيرها وأخذ ما عندهم في مختلف العلوم والمعرفة، ونُظُم معيشة المجتمعات وحياتهم.

وكان نتيجةُ التَّرحال أن نال ثقافةً واسعةً في اللغة، والأدب، والحديث، والفقه على طريقتي أهل الحديث وأهل الرأي؛ كما نال ثقافة اجتماعيةً اكتسبها من مشاهدة حياة البدو في البادية، والحضارة الأوليَّة في «الحجاز»، و«اليمن»، والحضارة العريقة المعقدة المركَّبة في كل من «العراق» و«مصر».

تاسعًا: فضل الشافعي وثناء العلماء عليه:

كان الشافعي -رضي الله عنه- من أنواع المحاسن بالمقام الأعلى، والمحل الأسنى؛ لما جمعه الله الكريم له من الخيرات والفضل، ووفقه إليه من جميل الصفات وحميد الخلال، وسهله عليه من أنواع المكرمات.

فمن ذلك شرف النسب الطاهر، والعنصر الباهر، واجتماعه هو ورسول الله ﷺ في النسب، وذلك غاية الفضل، ونهاية الحسب.

ومنه شرف المولد، والمنشأ، فإنه ولد بالأرض المقدسة، ونشأ بمكة.

ومنه أنه جاء بعد أن مهدت الكتب، وصنفت، وقررت الأحكام، ونقحت؛ فنظر في مذاهب المتقدمين، وأخذ عن الأئمة المبرزين، وناظر الحذاق المتقنين، فنظر مذاهبهم، وسبرها، وتحققها، وخبرها، فلخص منها طريقة جامعة للكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، ولم يقتصر على بعض ذلك، وتفرغ للاختيار، والترجيح، والتكميل، والتنقيح، مع كمال قوته، وعلو همته، وبراعته في جميع أنواع الفنون،

(١) ينظر: الفكر السامي (٢/ ١٧٦) فما بعدها.

واضطلاعه منها أشد اضطلاع.

وهو المبرز في الاستنباط من الكتاب والسنة، البارع في معرفة الناسخ، والمنسوخ، والمجمل، والمبين، والخاص، والعام، وغيرها من تقاسيم الخطاب، فلم يسبقه أحد إلى فتح هذا الباب؛ لأنه أول من صنف أصول الفقه بلا خلاف، ولا ارتياب.

وهو الذي لا يساوى بل لا يدانى في معرفة كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ ورد بعضها إلى بعض.

وهو الإمام الحجة في لغة العرب، وفي نحوهم، فقد اشتغل في العربية عشرين سنة مع بلاغته، وفصاحته، ومع أنه عربي اللسان، والدار، والعصر، وبها يعرف الكتاب والسنة.

وهو الذي قلد المنن الجسيمة جميع أهل الآثار، وحملة الأحاديث، ونقلة الأخبار بتوقيفه إياهم على معاني السنن، وتنبيههم، وقذفه بالحق على باطل مخالفي السنن، وتمويههم، فنعشهم بعد أن كانوا خاملين، وظهرت كلمتهم على جميع المخالفين، ودمغوهم بواضحات البراهين حتى ظلت أعناقهم لها خاضعين.

ولهذا كله وغيره كثر ثناء العلماء على الشافعي، رحمه الله تعالى؛ فكان مما جاء في الثناء عليه ما يلي:

قال محمد بن الحسن -رحمه الله- : إن تكلم أصحاب الحديث يومًا ما، فبلسان الشافعي، يعني: لما وضع من كتبه.

وقال ابن مهدي: ما أصلِّي صلاةً، إلا وأنا أدعو للشافعي فيها.

وقال بشر المريسي لأصحابه: رأيتُ شابًّا من قريش بـ«مكة» ما أخاف على مذهبنا إلَّا منه، يعني: الشافعي.

وقال الزعفرانيُّ: حج المَرِيسيُّ، فلما قدم قال: رأيت بـ «الحجاز» رجلًا ما رأيت مثله سائلًا ولا مجيبًا، يعني: الشافعي.

وقال أحمد بن حنبل: ستة أدعو لهم سَحَرًا، أحدهم: الشافعي.

وسأل عبد الله بن أحمد بن حنبل أباه، فقال: يا أبت، أي رجل كان الشافعي؛ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافيةِ للناس، فهل لِهذَين من خلف، أو منهما عوض؟!.

وقال أبو عبيد: ما رأيت رجلًا أعقلَ من الشافعي.

وقال يونس بن عبد الأعلى: لو جمعت أمة، لوسعهم عقل الشافعي.

وقال يحيى بن أكثم: كنا عند محمد بن الحسن في المُنَاظَرَةِ، وكان الشافعي رجلًا قرشي العقل والفهم والذهن، صافي العقل والفهم والدماغ، سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماعًا للحديث، لاستغنت أمَّة محمد ﷺ به عن غيره من الفقهاء.

وقال المَأْمُونُ: امتحنت محمد بن إدريس في كل شيء، فوجدته كاملًا.

وكان ابن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والفُتْيَا، التفت إلى الشافعي، فيقول: سلوا هذا.

وقال إسحاق بن راهويه: لقيني أحمد بن حنبل بـ «مكة»، فقال لي: تعال؛ حتى أريك رجلًا لم تر عيناك مثله، قال: فأقامني على الشافعي.

وقال مُصْعَبُ بن عبد الله: ما رأيت أحدًا أعلمَ بأيام الناس من الشافعي.

عاشرًا: الإذن للشافعي بالإفتاء:

تصدر الإمام الشافعي في عصر الأئمة المبرزين للإفتاء، والتدريس، والتصنيف، وقد أمره بذلك شيخه مسلم بن خالد الزنجي، إمام أهل مكة، ومفتيها، وقال له: أفتِ يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتي، وكان للشافعي إذ ذاك خمس عشرة سنة.

حادي عشر: تواضع الشافعي:

كان الشافعي -رحمه الله- متواضعًا، لم يغتر يومًا بكثرة علمه،وما استطال على أحد خالفه في الرأي، بل كان يقول: ما ناظرتُ أحدًا فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وودت أنه عند كل أحد، ولا ينسب إليّ.

ثاني عشر: اجتهاد الشافعي في طاعة الله عز وجل:

كان الشافعي مجتهدًا في الطاعة، مكثرًا من العبادة فقد روي عنه أنه كان يجزئ الليلَ ثلاثةَ أجزاء: يكتب في ثلثه الأول، ويصلي في الثاني، وينام الثالث.

وقد علق الذهبي قائلا: هذه حكاية صحيحة؛ تدل على أن ليلَه كلَّه عبادةٌ؛ فإن كتابة العِلم عبادةٌ، والنوم لحقِّ الجسد عبادةٌ؛ قال عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

ثالث عشر: آثار الشافعي:

ترك الإمام الشافعي آثارًا كثيرة في الفقه، والحديث، وغيرهما، وقد أعاد رحمه الله

تصنيف بعض ما كتب مرة أخرى، وفي ذلك يقول البيهقي: قد صنف الشافعي - رضي الله عنه- في القديم أكثر كتبه التي رواها عنه الحسن بن محمد الصباح الزعفراني -رحمه الله- منها: كتاب السنن، وكتاب الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج والاعتكاف، والبيوع، والرهن، والإجارة، والنكاح، والطلاق، والصداق، والظهار، والإيلاء، واللعان، والجراحات، والحدود، والسّير، والقضايا، وقتال أهل البغي، والعتق، وغير ذلك.

ثم أعاد تصنيف هذه الكتب في الجديد غير كتب معدودة، منها: كتاب الصيام، وكتاب الصداق، وكتاب الحدود، وكتاب الرهن الصغير، وكتاب الإجارة، وكتاب الجنائز؛ فكان يأمر بقراءة هذه الكتب عليه في الجديد، ثم يأمر بتحريق ما تغير اجتهاده فيه، وربما يدعه؛ اكتفاء بما ذكر في موضع آخر.

وله كتب صنفها في القديم، وحملها عنه الحسين بن علي الكرابيسي، وأبو عبد الرحمن أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي، الذي يعرف بالشافعي، غير أن روايتهما سقطت، وتلك الكتب عدمت في زماننا هذا إلا القليل منها.

ومن أهم مصنفاته - رحمه الله تعالى - ما يلي:

١-كتاب الرسالة القديمة.

٢-كتاب الرسالة الجديدة.

٣-كتاب اختلاف الأحاديث.

٤-كتاب جماع العلم.

٥-كتاب إبطال الاستحسان.

٦-كتاب أحكام القرآن «جمعه البيهقي من نصوص الشافعي».

٧-كتاب بيان فرض الله، عز وجل.

٨-كتاب صفة الأمر والنهي.

٩-كتاب اختلاف مالك والشافعي.

١٠-كتاب اختلاف العراقيين.

١١-كتاب الرد على محمد بن الحسن.

١٢-كتاب عليّ وعبد الله.

١٣-كتاب فضائل قريش.

وقد انفرد الإمام الشافعي بالتأليف في مواضيع لم يسبقه أحد إليها، كما يدل لذلك - مثلا - قول أحمد بن حنبل: ما سبق أحد الشافعي إلى كتاب الجزية.

وهو -رحمه الله- أول من دوَّن أصول الفقه عندما طلب منه إمام الحديث عبد الرحمن بن مهدي، المتوفى سنة (١٩٨) ثمان وتسعين ومائة أن يضع له كتابًا يجمع فيه معاني القرآن، وقبول الأخبار، وحجية الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فكتب الشافعي كتاب الرسالة؛ الذي سمي بهذا الاسم؛ لأنه أرسله إلى عبد الرحمن بن مهدي بعدما كتبه بِناء على طلبه السابق.

رابع عشر: مرض الشافعي ووفاته:

قال المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحتَ؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلًا، ولإخواني مُفارقًا، ولسوء عملي مُلاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنِّيها، أو إلى النار فأعزِّيها؟! ثم بكى، وأنشأ يقول -من الطويل-:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ رَجَائِي دُونَ عَفْوكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فما زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّمَا
فَإِنْ تَنْتَقِمْ مِنِّي فَلَسْتُ بِآيِسٍ ... وَلَوْ دَخَلَتْ نَفْسِي بِجُرْمٍ جَهَنَّمَا
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُفْتَنْ بِإِبْلِيسَ عَابِدٌ ... وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا
وَإِنِّي لَآتِي الذَّنْبَ أَعْرِفُ قَدْرَهُ ... وَأَعْلَمُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو تَكَرُّمَا

وقال الربيع: دخلت على الشافعي، وهو مريضٌ، فسألني عن أصحابنا؟ فقلت: إنهم يتكلمون، فقال: ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة، وبودِّي أن جميع الخلق تعلَّموا هذا الكتاب - يعني: كتبه - على ألَّا يُنسب إليَّ منه شيء.

قال هذَا يومَ «الأحد»، ومات يوم «الخميس»، وانصرفنا من جنازته ليلة الجمعة، فرأينا هلال شعبان، سنة أربع ومائتين، وله نيِّف وخمسون سنة.

ودفن الشافعي -رضي الله عنه- بتربة ابن عبد الحكم، وقبره مشهور هناك، مجمع على صحته ينقله الخلف عن السلف، في كل عصر إلى وقتنا هذا.

وكان موضع دفنه ساحة حتى عمَّر تلك الأماكن السلطان صلاح الدين الأيوبي،

ثم أنشأ الملك الكامل محمد القبة على ضريحه، وهي القبة الكائنة اليوم على قبره - رضي الله عنه.

وقبره -رضي الله عنه- عليه من الجلالة، وله من الاحترام ما هو لائق بمنصب ذلك الإمام.

قال العزيزي: رأيت ليلةَ ماتَ الشافعي كأنه يقال: مات النبي ﷺ في هذه الليلة، فأصبحت، فقيل: مات الشافعي.

وقال سفيان بن وكيع: رأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، والناس في أمر عظيم؛ إذ بَدَرَ لي أخي فقلت: ما حالكم؟ قال: عُرضنا على ربنا، قلت: فما حالُ أبي؟ قال: غفر له، وأمر به إلى الجنة، قلت: فمحمد بن إدريس؟ قال: حُشر إلى الرحمن وَفْدًا، وألبس حلل الكرامة، وتوِّج بتاج البهاء.

* * *

المبحث الثاني

تكوين المذهب الشافعي وأصوله وطابعه

أولاً: تكوين المذهب الشافعي:

كان الإمام الشافعي -رضي الله عنه- في بداية طلبه العلم يعد نفسه تلميذًا للإمام مالك بن أنس، وتابعًا لتعاليم مَذْهبه، وأحد رجال مدرسته، إلى أن قَدِمَ «العراق» للمرة الثانية، فأسس هناك مذهبًا مستقلًّا.

وكان من أبْرَز أعماله الفقهية: أنه درس مذهب المتقدِّمين، وبحث بدقة متناهية مسلك المدرسَتَيْن: مدرسة أهل الحديث، ومدرسة الرأي، وأحدث بعد هذا التمحيص طريقة نقْدية ممثلة فيها مميزات المدْرَستين؛ وبذلك كوّن مركزًا وسطًا بين أهل الرَّأي، وأهل الحديث.

كما أن لفقهه مميزاتٍ أخرى، لا يتسع المقام هنا لبسطها.

ثانيًا: أصول المذهب الشافعي[1]:

بين الشافعي -رحمه الله تعالى- الأصول التي يستنبط منها أحكامه الفقهية، حيث قال في «الأم»: «الأصل: قرآن أو سنة، فإن لم يكن فقياسٌ عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسُول الله ﷺ، وصحَّ الإسناد به فهو المنتهى، والإجْمَاع أكبر من الخبر الفرد، والحديث على ظاهره، وإذا احْتَمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أوْلاَها به، وإذا تكافأت الأحَادِيث فأصحُّها إسنادًا أولاها، وليس المنقطع بشيءٍ ما عدا منقطع ابن المسيِّب، ولا يقاس أصلٌ على أصْلٍ، ولا يقال للأصل: لِمَ؟ وكيف؟ وإنما يقال للفرع: لِمَ؟ فإذا صحَّ قياسُه على الأَصْل صحَّ، وقامت به الحجَّة»[2].

ويؤخذ من هذا الكلام أن أصول المذهب الشافعي هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس؛ كما هي الحال في غيره من المذاهب، لكن الشافعي -رحمه

---

(١) ينظر: الفكر السامي (٢/ ١٧٦) وما بعدها.
(٢) ينظر: الأم (٧/ ٢٤٧).

الله- قد انفرد بِمَسْلَك منْفَرد في طريقة العمل بهذه الأصول، واستنباط الأحكام منها.

ويضاف إلى هذه الأصول أصول أخرى، قال الشافعي بحجتها -أيضًا- وهي: قول الصَّحابي، والعُرْف، والاستِصْحَاب.

والمعروف عنه -رحمه الله-: أنه لا يأخذ بالاستحسان، والواقع خلاف ذلك.

وعن أصول مذهب الشافعي يقول الأستاذ الشيخ علي الخفيف:

وقد امتاز مذهب الشافعي بأصوله التي ذكرها صاحبه، ففصلها، وناضل عنها في كتابه «الأم»، و«الرسالة» التي وضعها في هذا الغرض، فكانت أصولًا لمذهبه مقطوعًا بها غير مظنونة، مروية عن الشافعي نفسه، غير مستنبطة من النظر في مذهبه.

قال الشافعي: والعلم من وجهين: اتباع أو استنباط، والاتباع: اتباع كتاب، فإنْ لم يكن، فسنة؛ فإن لم تكن فقول عامة من سلفنا، لا نعلم له مخالفًا، فإن لم يكن، فقياس على كتاب الله -عز وجل- فإن لم يكن، فقياس على سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن، فقياس على قول عامة من سلف لا مخالف له، ولا يجوز القول إلا بالقياس، وإذا قاس من له القياس فاختلفوا وَسِعَ كُلًّا أن يقول بمبلغ اجتهاده، ولم يسعه اتباع غيره؛ فيما أدى إليه اجتهاده بخلافه.

وبناء على هذا يمكن عرض أصول المذهب الشافعي بشيء من التفصيل كالآتي:

الأصل الأول: الكتاب:

الشافعي كغيره من الفقهاء يضع القرآن في صدر المصَادر، ويعده المنبع الأَوَّل لاستقاء الفقه، ويحتجُّ بظواهر الكتاب، حتى يقوم دليلٌ على أن المراد بها غير ظاهرها[1].

الأصل الثاني: السُّنة:

يُعَدُّ الشافعي بحق ناصر السنة كما سيأتي التنبيه عليه فيما بعد، كما يتجلى من دفاعه الشديد عن العمل بخبر الواحد، ما دام راويه ثقة ضابطًا، وما دام الحديثُ متصلًا برسول الله ﷺ، وعَابَ على الحنفية في تقديم القياس على خبر الواحد.

ويرى أن السنة إذا صحَّت يجب اتباعها اتباعَ القرآن، لكن لا يرى العمل بالمرسل

---

(١) ينظر: المفضوي، ص (٢١٦).

إلا بشروطٍ: كأن يكون من مراسيل سَعِيد بن المسيِّب[١].

الأصل الثالث: الإجماع:

وهو في نظر الشافعي: «عدم العلم بالخلاف على أساس أن العلم بالاتِّفاق غير ممكن»[٢].

وردّ ما ذهب إليه شيخه الإمام مالك، من اعتباره إجماع أهل «المدينة» حجة، وأصلًا من أصُول الفقه، وقال: إن أول إجماع هو إجماع الصَّحابة[٣].

الأصل الرابع: قول الصَّحابي:

عَمِل الشافعي في قوله القديم بأقوال الصَّحابة -رضي الله عنهم، أمَّا في الجديد: فالمعروف عنه -كما يقول كثير من أصحابه- عدم الاحتجاج بقول الصحابي؛ على أساس أنه نقل أقوالًا للصحابة ثم خَالَفها.

لكن الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- يرى خلافَ ذلك، واحتج بقول الشافعي في الجديد: «العلمُ طبقات:

الأولى: الكتاب والسنة.

والثانية: الإجماع فيما ليس كتابًا ولا سنة.

والثالثة: أن يقول صحابي، فلا يعلم له مخالفٌ من الصحابة.

والرابعة: اختلاف الصحابة.

والخامسة: القياس».

فإن هذا الكلام من الشافعي في الجديد يدل على أن قول الصحابي حجة في قوله الجديد أيضًا[٤].

والواقع: أن الشافعي يرى الاستِدْلاَل بأقوال الصحابة عندما لا يكون خلافٌ بينهم، وَقَلَّ أن يكون ذلك، ويختار الأرجح منها عند الخِلاف.

والأسس التي يُرجح بها هي كون القول أقرب إلى الكتاب والسنة، أو من أقوال الرَّاشدين.

---

(١) ينظر: عيسوي أحمد عيسوي، تاريخ الفقه الإسلامي ص (١٩٧)، والخضري، المرجع السابق.
(٢) الخضري: المرجع السابق.
(٣) ينظر: الشافعي للأستاذ أبي زهرة، ص (٢٨٩).
(٤) ينظر: إعلام الموقعين (٣/ ٣٧٩).

وفي ذلك يقول الشافعي في «الأم»: «ما كان الكتاب والسنة موجودين، فالعذر عمن سمعهما مقطوع إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك، صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله أو واحدٍ منهم، ثم كان قول الأئمة: أبي بكر، أو عمر، أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا؛ وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة، فنتبع القول الذي معه الدلالة؛ لأن قول الإمام مشهور بأنه يلزمه الناس، ومن لزم قوله الناسُ كان أشهر ممن يفتي الرجل أو النفر، وقد يأخذ بفتياه أو يدعها، وأكثر المفتين يُفْتُون للخاصة في بيوتهم ومجالسهم، ولا تعنى العامةُ بما قالوا عنايتهم بما قال الإمام».

الأصل الخامس: القياس:

يُعَدُّ الشافعي أولَ من تكلَّم في القياس، وضبط قواعده، وبَيَّنَهَا؛ وهو وإن لم يعرِّف القياس بالحد، ولا بالرسم التامِّ؛ فإنه وضحه بالأمثلة، والتَّوضيح بالمثال من قبيل الرسم الناقص.

وقد وقف الشافعي موقفًا وسطًا بين تشدُّد مالك، وتوسُّع أبي حنيفة في القياس، واشترط في الأَخْذ به: أن تكون علَّته منضبطةً، ولا يكون في المَسْأَلة حديثٌ صحيحٌ، ولو كان من أخبار الآحاد.

الأصل السادس: الاستصحاب:

من يتتبَّع فروع مَذْهب الشافعي يرى أنه عَمِل بالاستِصْحَاب، واعتبره من مصادر الأحكام.

الأصل السابع: العرف:

لقد تأثر فقه الشافعي بالأعْرَاف السائدة في «مصر» في عَهْده؛ فرجع عمَّا بناه على أعراف وعادات العراقيين؛ مِمَّا يدلُّ على أنَّ الشافعي يرى العرف مصدرًا من مصادر الأحْكَام.

الأصل الثامن: الاستحسان:

تقدمت الإشارة إلى أن المعْرُوف عن الشافعي: أنه لم يأخذْ بالاستِحْسَان، وأنه نَقِمَ عليه، وعلى من يقُولُ به، حتى قال: «من استحسن فقد شَرَّع».

بَيْد أن الشافعي بنى بعض المَسَائل الفقهيَّة على الاستحسان، منها قوله: «أستحسن أن تكون المتعة في حق العقيم ثلاثين درهمًا». وقوله: «أستحسن أن يؤجَّل الشفيع ثلاثًا».

وقال في السارق: «إذا أخرج يده اليُسْرى بدل اليُمْنَى فقطعت، القياس أن تقطع يمناه، والاستِحْسَان ألَّا تقطع».

ومن هذا يتضح أن الاستحسان الذي حمل عليه الشافعي وأنكره هو ما يستحسنه النَّاس ويشتهونه بلا دليل، وهذا ما لا يقول به أي مجتهد، أما الاستحسان بمعنى القياس الذي خفيت علته لدقتها وبعدها عن الذهن، فهو معتد به عنده -رحمه الله تعالى.

ثالثًا: طَابَعُ فقهِ الشافعي:

كانت النَّزعة الفقهية للإمام الشافعي وسَطًا بين نزعتين، وهما: نزعة أهل الرأي، ونزعة أهل الحديث؛ حيث إنَّ جذور فِقْهِه -رضي الله عنه- ترجع إلى فقه الإمام أبي حنيفة، وفقه الإمام مالك بن أنس، فوافق أبا حنيفة في مبادِئه، كما وافق مالكًا في أنه أعطى الحديث أولوية خاصة، حتى عُرِفت الشَّافعيةُ في «العِرَاق»، و «خراسان» بـ «أهل الحديث»، وكان أهل «بغداد» يُطلِقُون عليه: ناصر السُّنة؛ كما حَكَى الإمام الشافعي نفسُه، فقال: «كانوا في «بغداد» يلقبونني بـ «ناصر السنة»».

فإنه -رحمه الله- لما رأى اختلافًا ظاهرًا بَيْنَ مَسْلك الحجازيين، والعراقيين عمد إلى تحديد موقفه تحديدًا دقيقًا أمام هؤلاء وأولئك، فاتخذ لنفسه خطَّة واضحة في الاحتجاج بالحَدِيث وبعض المصادر التبعيّة، وأخذ يقرر هذه الخطَّة وَيُخَطِّئ من يخَالِفُها، عراقيًّا كان أو حجازيًّا.

فكان طابع مذهبه هو الوسطية بين المبالغة في الوقوف عند المنقول، والمبالغة في الأخذ بالرأي والمعقول.

* * *

المبحث الثالث

ترجمة الإمام الشيرازي

* صاحب المتن المشروح.

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو الشيخ الإمام، القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام، إبراهيم بن علي ابن يوسف بن عبد الله الشيرازي، ثم الفيروزبادي[1].

كنيته: أبو إسحاق.

ولقبه: جمال الدين.

لكن غلب عليه لقب الشيخ، وكان هذا يوافق رغبة أبي إسحاق الشيرازي -رحمه الله- لأنه لقب لقبه به النبي ﷺ في المنام؛ فقد حكى السبكي[2] في طبقاته عن أبي إسحاق -رحمه الله- أنه قال: «كنت نائمًا، فرأيت النبي ﷺ في المنام، ومعه صاحباه: أبو بكر، وعمر -رضي الله عنهما- فقلت: يا رسول الله، بلغني عنك أحاديث كثيرة، عن ناقلي الأخبار، فأريد أن أسمع منك خبرًا أتشرف به في الدنيا، وأجعله ذخيرة في

---

(١) الأنساب (٩/ ٣٦١، ٣٦٢)، وتبيين كذب المفتري ص (٢٧٦ - ٢٧٨)، والمنتظم (٩/ ٧، ٨)، وصفة الصفوة (٤/ ٦٦، ٦٧)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٨١)، والكامل لابن الأثير (١٠/ ١٣٢، ١٣٣)، واللباب (٢/ ٤٥١)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٧٢-١٧٤)، والمجموع للنووي (١/ ٢٥-٢٨)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٩-٣١)، والمختصر في أخبار البشر (٢/ ١٩٤، ١٩٥)، ودول الإسلام (٢/ ٧)، والعبر (٣/ ٢٨٣، ٢٨٤)، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: (٤٢-٤٦)، وتتمة المختصر (١/ ٥٧٣، ٥٧٤)، والوافي (٦/ ٦٢-٦٦)، ومرآة الجنان (٣/ ١١٠- ١١٩)، وطبقات السبكي (٤/ ٢١٥- ٢٥٦)، وطبقات الإسنوي (٢/ ٨٣- ٨٥)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٢٤- ١٢٥)، ووفيات ابن قنفذ ص (٢٥٦)، والنجوم الزاهرة (٥/ ١١٧، ١١٨)، ومفتاح السعادة (٢/ ٣١٨ - ٣٢١)، وتاريخ الخميس (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)، وطبقات ابن هداية الله، ص (١٧٠، ١٧١)، وكشف الظنون (١/ ٣٣٩، ٣٩١، ٤٨٩)، (٢/ ١٥٦٢، ١٧٤٣، ١٨١٨، ١٩١٢)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٤٩- ٣٥١)، وهدية العارفين (١/ ٨)، وذيل بروكلمان (١/ ٦٦٩)، والفتح المبين في طبقات الأصوليين (١/ ٢٥٥ - ٢٥٧)، والإمام الشيرازي حياته وآراؤه الأصولية، للدكتور محمد حسن هيتو، ومقدمة كتابه «طبقات الفقهاء»، لإحسان عباس، بيروت، ١٩٧٠م.

(٢) طبقات السبكي (٤/ ٢١٥).

الآخرة، فقال لي: يا شيخ، وسماني شيخًا، وخاطبني به».

وكان الشيخ يفرح بهذا، ويقول: سماني رسول الله ﷺ شيخًا.

قال الشيخ: ثم قال لي ﷺ: «من أراد السلامة، فليطلبها في سلامة غيره».

قال السبكي: ومثل هذه الحكاية، حكاية شيخه القاضي أبي الطيب، في رؤياه النبي ﷺ في المنام، وتسميته إياه فقيهًا، وكان القاضي -أيضًا- يفتخر بذلك.

ثانيًا: مولده ومكان ولادته:

اختلف أصحاب كتب التاريخ والتراجم في تاريخ مولد أبي إسحاق الشيرازي -رضي الله عنه:

فالصحيح والمشهور بين المترجمين أنه ولد عام ثلاثة وتسعين وثلاثمائة.

وذهب آخرون إلى أن مولده كان عام ستة وتسعين وثلاثمائة.

ذكر هذا ابن كثير في «البداية والنهاية»(١).

وذكر صاحب «وفيات الأعيان»(٢) أن مولده عام خمسة وتسعين وثلاثمائة.

وكان مولده -رضي الله عنه- في بُليدة تسمى «فيروزباد» بفارس، ويُقال لها: مدينة جور، وهي قريبة من شيراز.

واختلف المترجمون في ضبط فيروزباد:

فذهب ابن خلكان إلى أنها بكسر الفاء، وسكون الياء المثناة من تحت، وضم الراء المهملة، وبعد الواو الساكنة زاي مفتوحة معجمة، وبعد الألف باء موحدة، وبعد الألف ذال معجمة.

وذهب غيره إلى أنها تُضْبَط بفتح الفاء، وإليه ذهب النووي في «تهذيب الأسماء واللغات».

أما «شيراز» فهي بكسر الشين المعجمة، وسكون الياء، وفتح الراء، وبعد الألف زاي، وهي عاصمة فارس.

وقيل: إنها مدينة خوارزم.

والنسبة إليها «شيرازي».

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١٢٤، ١٢٥).

(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢٩).

قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: وقد نُسِبَ إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء في كل فن.

ثالثًا: نشأته ورحلته في طلب العلم:

نشأ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في بلدته التي ولد فيها «فيروزباد»، وهي أول بلدة تلقَّى الشيخ فيها مبادئ العلوم على يد أستاذه أبي عبد الله محمد بن عمر الشيرازي، ثم أدرك أن للرحلة أثرًا ملحوظًا في تمحيص العلوم، وتنقيحها، وتثبيتها في أذهان العلماء، وأن طلاب العلم نزحوا من قطر إلى قطر، تحملهم ظهور الفيافي والقفار؛ تنقيبًا عن الحديث، أو المسألة الفقهية، أو السماع من شيخ مشهور، أو التلمذة على يد عالم إمام، فسعى إلى طلب المعرفة، وتحصيل العلم، وطلب مسائله وقضاياه؛ وارتحل إلى عدد من البلدان، كالآتي:

١- رحلته إلى شيراز:

لما بلغ أبو إسحاق السابعة عشرة من عمره رحل إلى شيراز؛ لمتابعة رحلته العلمية فيها، والتلمذة على شيوخها وفقهائها، وفي شيراز تعلم أبو إسحاق الفقه على يد شيخه أبي عبد الله البيضاوي، وشيخه أبي أحمد عبد الوهاب بن رامين.

٢- رحلته إلى البصرة:

ثم رحل أبو إسحاق إلى البصرة، حيث تتلمذ على يد شيخه الجزري، وتعلم منه الفقه.

٣- رحلته إلى بغداد:

في عام خمسة عشر وأربعمائة، رحل أبو إسحاق إلى بغداد، وهناك تلقى العلم على كبار فقهائها وعلمائها، ومنهم الإمام أبو الطيب الطاهر بن عبد الله الطبري، ولازمه حتى صار أخص تلاميذه، وقد وثق به الطبري، فكان يستنيبه في الدرس إذا غاب، بل ذهب إلى أكثر من ذلك، وهو ما أفصح عنه الشيخ أبو إسحاق، بقوله: «لازمت مجلسه -يعني: أبا الطيب الطبري- بضع عشرة سنة، ودرست أصحابه في مسجده سنين بإذنه، ورتبني في حلقته، وسألني أن أجلس في مسجده للتدريس، ففعلت في سنة ثلاثين -أي: وأربعمائة- أحسن الله عني جزاءه، ورضي عنه».

ومن أخذ عنهم أبو إسحاق الفقه في بغداد - أيضًا - أبو القاسم منصور بن عرم الكرخي، وأبو حاتم محمود بن الحسن الطبري، وأبو عبد الله محمد بن عمر الشيرازي، وغيرهم.

وأما الحديث: فأخذه فيها -أي: بغداد- عن أبي بكر البرقاني -بضم الباء، وتسكين الراء- وأبي علي بن شاذان، وأبي الطيب الطبري، وأبي الفرج محمد بن عبد الله الخرجوشي الشيرازي، وغيرهم.

رابعًا: صفاته وشيمه وأخلاقه:

ذكرت كتب السير والأعلام كثيرًا من الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة التي كان يتحلى بها أبو إسحاق الشيرازي، والتي كانت تنطوي عليها نفسه النقية الطاهرة، فهو الزاهد، العفيف، العابد، الورع، المُعرض عن الدنيا، المُقبل على الآخرة، المُجانب للهوى، المواظب على وظائف الدين، وكان من جميل شيمه وأخلاقه ما يلي:

١- جوده وكرمه برغم فقره وفاقته:

عاش الشيخ أبو إسحاق حياة شديدة الفقر والفاقة، فلم يكن يملك من حطام الدنيا شيئًا، ومع ذلك كان عفيف النفس لا تُغريه ماديات الحياة وزخرفها، عُرِضَت عليه المناصب العليا، فرفضها؛ زهدًا في الدنيا وملذاتها.

ومن ذلك ما ذكره ابن الصلاح أنه: «لما توفي قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن جعفر بن ماكولا ببغداد، أكره القائم بأمر الله الشيخ أبا إسحاق الفيروزبادي على أن يتقلد له النظر في الأحكام والمظالم شرقًا وغربًا، فامتنع.

وقال القاضي محمد بن محمد الماهاني: «إماما ما اتفق لهما الحج: الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني»، ثم ذكر سبب ذلك، فقال: «الشيخ أبو إسحاق، ما كان له استطاعة الزاد، والراحلة، ولكن لو أراد الحج، لحملوه على الأحداق إلى مكة، والدامغاني لو أراد أن يَحج على السندس والإستبرق، لأمكنه ذلك».

ورغم شدة فقره، كان أبو إسحاق كريمًا جوادًا، كالبحر في العطاء، وكالغيث في

الجود، لم يَحُلِ الفقر بينه وبين الإنفاق في سُبُل الخير ووجوه البر.

ولذلك وصفه النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» بأنه كان كريمًا، سخيًّا، جوادًا.

وحكى السمعاني عنه أنه كان يشتري طعامًا كثيرًا، ويدخل بعض المساجد، ويأكل مع أصحابه، وما فَضُلَ قال لهم: اتركوه لمن يرغب فيه.

٢- شدة ورعه:

كان أبو إسحاق -رحمه الله- ورعًا شديد الورع، وقد روى المؤرخون عنه جملة من الأخبار الدالة على ذلك منها ما حكاه السمعاني؛ أنه سمع بعض أصحاب الشيخ يقول: دخل أبو إسحاق يومًا مسجدًا؛ ليتغدى، فنسي دينارًا، ثم ذكر، فرجع، فوجده ففكر، ثم قال: لعله وقع من غيري.

وقال أبو بكر محمد بن علي البروجردي: أخرج أبو إسحاق يومًا قُرصين من بيته، فقال لبعض أصحابه: وكَّلْتُكَ في أن تشتري لي الدبس والراشي بهذه القُرصة، على وجه هذه القرصة الأخرى.

فمضى الرجل، وشك بأي القرصين اشترى، فما أكل الشيخ ذلك، وقال: لا أدري أشترى بالذي وكلته، أم بالأخرى؟

وهذا يدل على أن الشيرازي -رحمه الله- قد بلغ من الورع مبلغًا لا يُدانيه إليه إلا من كان في طبقته من الفضل والعلم، وقل من يصل إلى ذلك.

ومن ورعه -أيضًا- ما يرويه المترجمون من أن الوزير نظام الملك بنى لأبي إسحاق المدرسة النظامية؛ ليتولى التدريس بها، لكنه رفض ذلك، عندما علم أن أدوات بنائها وآلاتها مغصوبة، لكنه تحت ضغط تلاميذه ومُحبيه قبل التدريس بها، غير أنه إذا كان وقت الصلاة، كان يخرج منها إلى مسجد قريب يصلي فيه، ثم يرجع.

٣- تواضعه:

كانت صفة التواضع صفة ظاهرة في سلوك الشيخ أبي إسحاق، وجميع تصرفاته، وكانت واضحة في شخصيته وضوح الشمس في السماء، فكبح جماح نفسه، وهذبها، وراضها، حتى خضعت ولانت، وسهل قياد زمامها، فلا هي تغتر بمغريات الحياة، ولا تنبهر بشهواتها.

ومما يدل لذلك ما حكاه القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري؛ أنه حملت فتوى إلى الشيخ أبي إسحاق، فرأيته في الطريق، فمضى إلى دكان خباز، أو بقال، وأخذ قلمه ودواته، وكتب جوابه، ومسح القلم في ثوبه.

ويُحكى -أيضًا- أن الشيخ -رحمه الله- كان يسأل أبا القاسم عبيد الله الرقي، عن الكلمة في اللغة، فيهابه أبو القاسم؛ لمكانة أبي إسحاق المعروفة، فيقول له أبو إسحاق مُهدئًا من شعوره: قدر أنه سألك عنها صبي، ولا تقل: إنه سألني عنها الشيخ أبو إسحاق.

وقال أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي: كان الشيخ يتوضأ في الشط، فنزل المشرعة يومًا، وكان يشك في غسل وجهه، ويُكرر، حتى غسل نُوَبًا عدة، فوصل إليه بعض العوام، وقال له: يا شيخ، أما تستحي، تغسل وجهك كذا وكذا نوبة. وقد قال النبي ﷺ: «من زاد على الثلاث فقد أسرف»(١)؟

فقال له الشيخ: لو صح لي الثلاث ما زدت عليها.

فمضى، وخلاه، فقال له واحد: أيش قلت لذلك الشيخ الذي كان يتوضأ؟

فقال الرجل: ذاك شيخ موسوس، قلت له: كذا على كذا.

فقال له: يا رجل، أما تعرفه؟

فقال: لا.

قال: ذاك إمام الدنيا، وشيخ المسلمين، ومُفتي أصحاب الشافعي.

فرجع ذلك الرجل خجلًا إلى الشيخ، وقال: يا سيدي، تعذرني، فإني قد أخطأت، وما عرفتك.

فقال الشيخ: الذي قلت صحيح، فإنه لا يجوز الزيادة على الثلاث، والذي أجبتك أيضًا صحيح، لو صح لي الثلاث ما زدت عليها.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠)، والنسائي (١/ ٨٨) كتاب الطهارة، باب: الاعتداء في الوضوء، وابن ماجه (١/ ١٤٦) كتاب الطهارة، باب: ما جاء في القصر وكراهية التعدي فيه، برقم (٤٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٧٩) كتاب الطهارة، باب: كراهية الزيادة على الثلاث، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ:

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم».

٤- إخلاصه:

لم يكن كرم أبي إسحاق، أو ورعه، أو تواضعه، رياء أو نفاقًا، بل كان -رحمه الله- ممن رزقهم الله الإخلاص في القول والعمل، كما يدل لذلك ما يذكره أبو الوفاء بن عقيل، وهو تلميذ الشيخ أبي إسحاق المُطلع على الكثير من أحواله، مما قد يغيب عمن لم يلازمه معرفته، حيث يقول: «شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يخرج شيئًا إلى فقير إلا أحضر النية، ولا يتكلم في مسألة إلا قدم الاستعانة بالله - عز وجل - وأخلص القصد في نصرة الحق، ولا صنف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات».

وأخذ أبو الوفاء يشير إلى بركة ذلك، وثمرته العاجلة، فقال: «فلا جرم شاع اسمه، وانتشرت تصانيفه شرقًا وغربًا؛ لبركة إخلاصه».

٥- جرأته في الحق:

كان الإمام أبو إسحاق الشيرازي جريئًا في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، حريصًا على قولة الحق للناس كافة، لا يخشى الولاة والساسة وذوي السلطان، بل كان الحُكام يهابونه، ويحترمونه، وينصاعون لأمره.

ومما يدل لذلك ما روي أن الوزير نظام الملك استفتى العلماء عن نفسه، فراح كثير من أهل العلم يجاملونه ووصفوه بالعدل، والاستقامة، وصفات الخير، وأنه من أهل الجنة.

لكن نظام الملك لم يقنع بهذا، وكأنه أحس بهذه المجاملة، فأصر على أن يستفتي الشيخ أبا إسحاق؛ لما عهد من ورعه، وجرأته في الحق فكتب نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق بذلك.

فكتب إليه أبو إسحاق: «الحَسَنُ خير الظَّلمة»، وكان اسم نظام الملك الحسن.

فلما قرأ نظام الملك ذلك، قال: صدق الشيخ، هذا هو الجواب.

وأوصى أن يُجعَل هذا المكتوب في كَفَنِه بعد موته.

٦- نفسه الهادئة المرحة:

كان الشيخ أبو إسحاق -رحمه الله- يتسم بالهدوء والحلم، ترتسم على وجهه الابتسامات الرقيقة، لا ترى وجهه مُقطبًا ولا مُتَجهمًا، بل كانت أساريره ومعالم وجهه تتهلل للخبر المُفرح والنبأ السعيد، وكان إذا جالس تلاميذه، أو أقرانه يتباسط

معهم، ويدخل السرور على قلوبهم.

ويروى أنه - رحمه الله - كان إذا جلس مع تلاميذه، يروي الحكايات الحسنة، والأشعار المُستبدعة المليحة، وكان يحفظ منها كثيرًا.

وكان رحيمًا رءوفًا بطُلابه، قريبًا من قلوبهم، وكان دائمًا يقول: «من قرأ علي مسألة فهو ولدي».

وكان إذا سأله أحد طلابه سؤالًا ليس في محله، أو ينم عن غباء هذا الطالب، لم يُعَنِّفه، ولم يقس عليه، وإنما كان يكتفي من ذلك بقوله: [الكامل]

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتُ مُغَرِّبًا ... شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

وحكى أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر خطيب الموصل، قال: لما جئت إلى بغداد، قاصدًا الشيخ أبا إسحاق، رَحَّبَ بي، وقال: من أي البلاد أنت؟

فقلت: من الموصل.

فقال: مرحبًا أنت بلديي.

فقلت: يا سيدنا أنا من الموصل، وأنت من فيروزأباد.

فقال: يا ولدي، أما جمعتنا سفينة نوح.

فهذه مجرد أمثلة من الأخبار الدالة على ما كان يتمتع به الشيخ أبو إسحاق -رحمه الله- من جميل الخصال، وحسن الخلال، ولعل سر اجتماع كل هذه الصفات الحميدة في عالمنا أبي إسحاق الشيرازي، هو ما جُبلت عليه طبيعته الخيرة، من المعاني السامية، والمبادئ الرفيعة، وأنه قد انتفع بعلمه وتشربه، وما العلم إلا مجموعة من الأخلاق والمبادئ الحميدة.

يقول الإمام الشيرازي: «العلم الذي لا ينتفع به صاحبه، أن يكون الرجل عالمًا، ولا يكون عاملًا».

وكان يقول -أيضًا- رحمه الله: [البسيط]

عَلِمْتَ مَا حَلَّلَ الْمَوْلَى وَحَرَّمَهُ ... فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ إِنَّ الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ

وقال أيضًا: الجاهل بالعالم يقتدي، فإذا كان العالم لا يعمل بعلمه، فالجاهل ما يرجوه من نفسه! فالله يا أولادي، نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا.

وخلاصة القول أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي -رحمه الله- كان يتمتع بأخلاق

المؤمنين، المخلصين لربهم، فنسأل الله أن يرزقنا أخلاقًا كأخلاق هذا العالم الجليل، وأن ينفعنا بعلمه وعطائه، وأن يرحمه بقدر ما أسدى للمسلمين من خير، وأن يطيب ثراه، إنه سميع مجيب الدعاء.

خامسًا: شيوخه:

حظي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بالتلمذة على كثير من مشايخ عصره، المشهود لهم بالإمامة في شتى فنون المعرفة، مما أثر في شخصيته، ودفعه إلى الجد والاجتهاد.

وهذه ترجمة لبعض هؤلاء الشيوخ:

١- الحسن بن محمد بن العباس القاضي، أبو علي الطبري، الزجاجي -بضم الزاي، وتخفيف الجيم-:

أخذ عن ابن القاصِّ. ومن تصانيفه: كتاب «زيادات المفتاح»، ويلقب بـ«التهذيب» قريب من «التنبيه»، يشتمل على فروع زائدة على «المفتاح» لشيخه، وله كتاب في الدور علقه عن ابن القاص، أيضًا.

وتوفي -رحمه الله- في حدود الأربعمائة[1].

٢- طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر القاضي العلامة، أبو الطيب الطبري:

ولد بطبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة هـ. واشتغل ببغداد على أبي حامد الأسفراييني، شرح مختصر المزني، كما صنف في الأصول، والجدل، وسمع من الدارقطني وغيره.

كما تولى القضاء بعد موت الصيمري.

تُوفِّي سنة خمسين وأربعمائة، عن اثنتين ومائة سنة[2].

٣- محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله، أبو عبد الله البيضاوي:

تفقه على الداركي.

وقال الشيخ أبو إسحاق: حضرت مجلسه، وعلقت عنه، وكان ورعًا، حافظًا

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ١٣٩)، وطبقات السبكي (٣/ ٢٦٥).

(٢) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٧٩)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٣/ ١٧٦)، وطبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٥٨).

للمذهب والخلاف، موفقًا في الفتاوى.

توفي فجأة في رجب سنة أربع وعشرين وأربعمائة[١].

٤- عبد الوهاب بن محمد بن عمر بن رامين، أبو أحمد البغدادي:

كان فقيهًا، أصوليًّا، له مصنفات حسنة في الأصول، قال ابن النجار: سمع وحدث.

توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة[٢].

٥- محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسين بن محمد بن عكرمة بن أنس بن مالك الأنصاري، أبو حاتم، القزويني:

كان حافظًا للمذهب والخلاف.

من تصانيفه: الحيل -تصنيف لطيف يذكر فيه الحيل الدافعة للمطالبة وأقسامها من المحرمة والمكروهة والمباحة- وتجريد التجريد.

توفي سنة أربعين وأربعمائة[٣].

٦- القاضي أبو الفرج الفامي الشيرازي:

أخذ العلم عن بشر بن الحسين، وكان إمامًا في مذهب داود، وعنه أخذ فقهاء شيراز مذهب داود، وكان أيضًا رأسًا في الكلام على مذهب المعتزلة[٤].

٧- أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر، البرقاني، الخوارزمي:

نزيل بغداد.

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، رحل وطوف وسمع ببلاد شتى.

قال الخطيب: كان ثقة ثبتًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه.

له حظ في علم العربية، صنف مسندًا ضمنه ما اشتمل عليه صحيحا البخاري ومسلم.

توفي في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة[٥].

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢١٥)، وطبقات السبكي (٤/ ١٥٢).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢١٣)، وطبقات السبكي (٥/ ٢٣٠).

(٣) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢١٨)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٥/ ٣٢١).

(٤) ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي، ص (١٧٩).

(٥) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢٠٤)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٢٨).

٨- منصور بن عمر بن علي، أبو القاسم الكرخي -بالخاء المعجمة- البغدادي:

قال الشيخ أبو إسحاق: «هو شيخنا» على الشيخ أبي حامد، وله عنه تعليقة. وصنف في المذهب كتاب «الغُنية»، ودرس ببغداد، ومات بها في جمادى الآخرة، سنة سبع وأربعين وأربعمائة[(١)].

٩- الشيخ القاضي أبو عبد الله الجلاب:

خطيب شيراز وفقيهها، من أصحاب أبي نصر بن الحناط، وكان نظارًا فصيحًا، أديبًا[(٢)].

١٠- عبد الرحمن بن الحسين الغندجاني، أبو أحمد:

قال الشيخ أبو إسحاق: علقت عنه بشيراز والغندجان، وكان من أصحاب أبي حامد الأسفراييني[(٣)].

١١- أبو عبد الله محمد بن عمر الشيرازي:

من أصحاب أبي حامد، علق عنه الشيرازي بفيروزأباد[(٤)].

سادسًا: تلاميذه:

تلقى العلم عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي جمع غفير من الطلاب، الذين حملوا إلينا مؤلفاته، وأصبحوا فيما بعد أئمة في الناس، وقد كثر هؤلاء الطلاب في كل بلد وكل صقع؛ نظرًا لأن الشيرازي دَرَّسَ ما يزيد على ثلاثين عامًا، وأفتى ما يقرب من خمسين عامًا.

وهذه ترجمة لبعض تلاميذه الذين وقفنا عليهم:

١- أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي:

صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. ولد -رحمه الله- يوم الخميس لست بقين

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢٣٦).

(٢) ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي، ص (١٣٣).

(٣) ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي، ص (١٣٣).

(٤) ينظر: السابق نفسه.

من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

وقد ترك -رحمه الله- مكتبة حافلة من مؤلفاته هي نتاج علمه، وثمرة جهده، وحسبنا ما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة وهو يصف مصنفاته فيقول إن: «المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه».

من تصانيفه: الكفاية في علم الرواية، الفصل للوصل المدرج في النقل، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وتاريخ بغداد، وغير ذلك الكثير. توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة[(١)].

٢- أحمد بن محمد بن أحمد، أبو العباس الجرجاني:

قاضي البصرة وشيخ الشافعية بها، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان من أعيان الأدباء، وله النظم والنثر، وسمع من جماعات كثيرة وحدث.

من تصانيفه: «الشافي»، و«التحرير»، و«البلغة»، و«المعاياة»، وغير ذلك. توفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة[(٢)].

٣- علي بن سعيد بن عبد الرحمن، أبو الحسن العبدري:

من بني عبد الدار، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

وصنف كتابًا سماه: الكفاية.

قال ابن السمعاني: وبرع في الفقه، وصار أحد الأئمة الوجيهين، وكان جميل المنظر، حميد الأثر.

وقال الذهبي: كان من كبار الشافعية، وصنف في المذهب والخلاف كتبًا، وكان ديِّنًا حسن الطريقة. توفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة[(٣)].

٤- سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث، التجيبي، الأندلسي، المالكي الباجي:

والباجي نسبة إلى مدينة «باجة» بالأندلس. ولد سنة ثلاث وأربعمائة.

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٤٠)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٤/ ٢٩).

(٢) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٦٠)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٤/ ٧٤).

(٣) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٧٠)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٥/ ٢٥٧).

من كبار فقهاء المالكية، رحل إلى المشرق، ثم عاد إلى بلاده ونشر الفقه والحديث. وكان بينه وبين ابن حزم مناظرات. ولي القضاء في بعض أنحاء الأندلس.

من تصانيفه: «الاستيفاء شرح الموطأ»، واختصره في «المنتقى»؛ وله: «شرح المدونة»، و«إحكام الفصول في أحكام الأصول».

توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة هـ[(١)].

٥- **الحسين بن علي بن الحسين، أبو عبد الله الطبري:**

نزيل مكة ومحدثها. ولد سنة ثماني عشرة وأربعمائة، وسمع صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسي، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي حتى برع في المذهب والخلاف، وصار من عظماء أصحابه.

توفي في شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة[(٢)].

٦- **عبد الرحمن بن محمد بن ثابت، أبو القاسم الثابتي الخرقي:**

وخرق -بفتح الخاء المعجمة والراء وفي آخرها القاف- قرية على ثلاثة فراسخ من مرو، بها جامع كبير حسن.

كان فقيهًا ورعًا زاهدًا يعرف بمفتي الحرمين، من قرية خرق بمرو.

تفقه على الفوراني بمرو، ثم على القاضي الحسين بمرو الروذ، ثم على أبي سهل أحمد بن علي الأبيوردي ببخارى، ثم بعد ذلك صحب أبا إسحاق الشيرازي ببغداد، وحج ورجع إلى قريته منقطعًا على العلم والعبادة.

توفي في ربيع الأول سنة خمس وتسعين وأربعمائة[(٣)].

٧- **أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العباس، الشارقي، الأنصاري:**

من ناحية بلنسية، له رحلة، روى فيها بمكة عن كريمة المروزية، وحج، وسمع الحديث، ودخل العراق وبلاد فارس والأهواز ومصر، ثم رجع إلى المغرب، وسكن سبتة ومدينة فاس وغيرهما، وكان فقيهًا فاضلًا واعظًا كثير الذكر والعمل والبكاء،

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٤٢)، والديباج المذهب (١٩٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٤٤).
(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢٦٣)، وطبقات السبكي (٤/ ٣٤٩).
(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١١٥).

وألف كتابًا مختصرًا نبيلًا مفيدًا في أحكام الصلاة.

وتوفي قريبًا من سنة خمسمائة[(١)].

٨- محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، فخر الإسلام أبو بكر الشاشي:

ولد في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

كان مهيبًا، وقورًا، متواضعًا، ورعًا، وكان يلقب في حداثته بالجنيد؛ لشدة ورعه، وانتهت إليه رئاسة المذهب بعد شيخه.

من تصانيفه: «الشافي» في شرح «الشامل»، و«المعتمد»، و«الحلية»، ذكر فيه خلافًا كثيرًا للعلماء، وغير ذلك.

توفي في شوال سنة سبع وخمسمائة[(٢)].

٩- عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن المعلم، أبو القاسم العكبري:

تفقه على الشيخ أبي إسحاق، وسمع الحديث من جماعة، وصنف الانتصار لحمزة الزيات فيما نسبه إليه ابن قتيبة في مشكل القرآن، وله شعر جيد.

توفي سنة ست عشرة وخمسمائة[(٣)].

١٠- محمد بن الحسين بن علي بن بندار، أبو العز، القلانسي:

من أهل واسط.

قرأ القرآن على جماعة، وتفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وسمع من أبي الحسين بن المهتدي، وأبي الغنائم بن المأمون، وأبي جعفر بن المسلمة، وأبي الحسين بن النقور، وجماعة.

حدث عنه ذاكر بن كامل الحذاء، وغيره.

توفي في شوال، سنة إحدى وعشرين وخمسمائة[(٤)].

١١- غانم بن الحسين، أبو الغنائم الموشيلي:

بضم الميم وسكون الواو وكسر الشين المعجمة، نسبة إلى موشيلا وهو: كاتب

---

(١) ينظر: الديباج المذهب (١/ ٥٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٥٧).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (١/ ٢٩٠)، وطبقات السبكي (٦/ ٧٠).

(٣) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٧/ ١٢٨).

(٤) ينظر: السابق (٧/ ٩٧).

للنصارى جد المذكور، وكان نصرانيًّا.

وهو من أهل أرمية من بلاد أذربيجان.

قال ابن السمعاني: فقيه فاضل ورع مفت مناظر، ورد بغداد، وأقام بها متفقهًا على أبي إسحاق الشيرازي، وسمع ابن هزارمرد الصريفيني وتفقه بنيسابور على إمام الحرمين، وقد ناظر أبا سعد المتولي، وظهر كلامه، فقال الشيخ أبو إسحاق لغانم: «كان كلامك أجود من كلام أبي سعد».

توفي بأرمية في حدود سنة خمس وعشرين وخمسمائة[١].

١٢- القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري:

ولد بالبصرة سنة ست وأربعين وأربعمائة.

صاحب المقامات التي بلغ بها الذروة في هذا الفن، وإمام عصره في الأدب والنظم والنثر والبلاغة والفصاحة.

تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر بن الصباغ، وقرأ الفرائض والحساب على أبي الفضل الهمذاني وأبي حكيم.

من تصانيفه: «الملحة» وشرحها، و«درة الغواص في أوهام الخواص».

توفي بالبصرة سنة ست عشرة وخمسمائة[٢].

١٣- أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن إبراهيم البجلي الكرخي، أبو العباس، ابن الرطبي:

ولد في أواخر سنة ستين وأربعمائة. كان أحد الأئمة ومن يضرب به المثل في الخلاف والنظر. تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر بن الصباغ.

وولي القضاء بالحريم الظاهري ببغداد والحسبة.

سمع أبا القاسم بن البسري، وأبا نصر الزينبي، وغيرهما.

وكان يؤدب الراشد بالله أمير المؤمنين، وكثيرًا من أولاد الخلفاء.

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية (٧/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٨٩)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٧/ ٢٦٦).

وتوفي في رجب سنة سبع وعشرين وخمسمائة[١].

١٤- أحمد بن سعد بن علي بن الحسن بن القاسم بن عنان، أبو علي، ابن الإمام أبي منصور العجلي الهمذاني، المعروف بـ«البديع»:

ولد سنة ثماني وخمسين وأربعمائة، وسمعه أبوه.

ثم رحل هو بنفسه إلى أصبهان وبغداد والكوفة والري.

سمع أبا إسحاق الشيرازي، ويوسف بن محمد الهمذاني الخطيب، وأبا الفرج بن عبد الحميد، وأبا طاهر بن الزاهد، وغالب الهمذانيين، وسليمان بن إبراهيم الحافظ، والقاسم بن الفضل الرئيس بأصبهان، وابن البطر وجماعة ببغداد، ومكي بن علان بالكرخ.

روى عنه: ابن عساكر، وابن السمعاني، وابن الجوزي، وطائفة.

قال عنه ابن السمعاني: شيخ إمام فاضل ثقة كبير جليل القدر واسع الرواية حسن المعاشرة، وله شعر جيد.

توفي في رجب سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وقبره يزار[٢].

١٥- يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن، أبو القاسم التفكري الزنجاني:

ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بـ(زنجان).

الفقيه الزاهد، أحد الأكابر، من تلامذة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

رحل وقرأ معاجم الطبراني، على أبي نعيم الحافظ، وسمع جماعة.

قال ابن السمعاني: كان ورعًا زاهدًا، عالمًا عاملًا بعلمه، متنسكًا بكَّاءً عند الذكر، خاشعًا صدوقًا، متبركًا به، مشتغلًا بنفسه، مقبلًا على العبادة ونشر العلم.

توفي في حادي عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة[٣].

سابعًا: مكانته العلمية:

يدرك المتصفح لسيرة الشيرازي أنه -رحمه الله- كان عظيم الهمة في السعي

(١) ينظر: طبقات الشافعية (٦/ ١٨، ١٩).
(٢) ينظر: السابق (٦/ ١٧، ١٨).
(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٣٦١).

والتحصيل والتدريس، حتى بلغ المكانة السامقة، والشهرة الذائعة. فقد كان -رحمه الله- يُدَرِّس أولًا في مسجد بباب المراتب، إلى أن بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة، فانتقل إليها، ودرس بها بعد تمنع شديد؛ حيث رفض التدريس بها أولًا عندما علم أن أدوات بنائها وآلاتها مغصوبة، لكنه قَبِلَ التدريس فيها بعد ذلك تحت ضغط تلاميذه؛ على ما سبق ذكره في الحديث عن ورعه رحمه الله تعالى.

وكان -رحمه الله- كما سبق بيانه أيضًا- في الحديث عن رحلاته - كثير الترحال في طلب العلم، وقد أثرت رحلاته هذه، وتنقلاته في البلدان المختلفة في توسيع مداركه، والإلمام بشتى الفنون الإسلامية على يد كثير من أئمة الفقه والعلم، على نحو ما رأينا في الحديث عن شيوخه؛ فقد قرأ الفقه على أبي عبد الله البيضاوي، وعلى ابن رامين، صاحبي أبي القاسم الداركي، تلميذ أبي إسحاق المروزي، صاحب ابن سريج.

وقرأ الفقه في البصرة على الخرزي.

وفي بغداد قرأ على القاضي أبي الطيب الطبري، ولازمه، واشتهر به، وصار أعظم أصحابه، ومُعيد درسه. وقرأ الأصول على أبي حاتم القزويني. وقرأ الفقه -أيضًا- على الزجاجي، وطائفة آخرين، ومن شيوخه الذي مضت تراجمهم.

وما برح الشيخ -رحمه الله- يدأب ويجهد، حتى صار أنظر أهل زمانه، وفارس ميدانه، والمُقَدَّم على أقرانه، وامتدت إليه الأعين، وانتشر صيته في البلدان، ورُحِلَ إليه من كل مكان.

ولقد كان اشتغاله أول طلبه أمرًا عُجابًا، وعملًا دائمًا، جعل من شاهده يقول: «عجبًا لهذا القلب والكبد كيف ما ذابا؟!».

وقد ساعده على ذلك صبره، وسعة صدره، وترديده للعلم، حتى يرسخ في ذهنه، ويعلق بوجدانه، وهو يحدثنا عن ذلك بنفسه؛ فيقول: «كنت أُعيد كل قياس ألف مرة، فإذا فرغت منه أخذت قياسًا آخر، وهكذا، وكنت أعيد كل درس ألف مرة، فإذا كان في المسألة بيت يُستشهد به حفظت القصيدة».

حتى لقد حال تحصيله للعلم وبذل الجهد في تحقيقه وتدريسه بينه وبين ملذات الحياة ونعيمها، بل بينه وبين أدنى متطلبات الحياة الأساسية، وكم صده سعيه ذلك عن تناول ما قد يشتهيه أحيانًا من الطعام، وإن كان حاضرًا عنده، كما يدل لذلك ما

نقله السبكي في «طبقاته» أن الشيخ أبا إسحاق -رحمه الله تعالى- اشتهى يومًا ثريدًا بماء الباقلاء، فما صح له أكله؛ لاشتغاله بالدرس».

وكان لشخصية الشيخ العلمية النصيب الأوفى في الجدل؛ حيث تمرس عليه، وتشربه منذ صغره؛ وفي ذلك يقول السبكي في «طبقاته» يصف الشيخ -رحمه الله: «وأما الجدل فكان ملكه، الآخذ بزمامه وإمامه إذا أتى كل واحد بإمامه، وبدر سمائه الذي لا يغتاله النقصان عند تمامه».

فما كان يدخل معه أحد في جدال إلا كان للإمام أبي إسحاق الغلبة فيه عليه.

وأصبحت صفة الجدل ملازمة له حتى كان يُطلق عليه: العلامة المناظر، المُشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة.

وقال السبكي في «طبقاته»: «كان الشيخ أبو إسحاق غضنفرًا في المناظرة، لا يصطلى له نار».

وقال سلار العقيلي - أحد الشعراء المعاصرين لأبي إسحاق - يصف مُضَاءَ جدله: [الطويل]

كَفَانِي إِذَا عَمَّ الحَوَادِثُ صَارِمٌ ... يُنِيلُنِي المَأْمُولَ بِالأَثْرِ وَالأَثَر

يَقُدُّ وَيَفْرِي فِي اللِّقَاءِ كَأَنَّهُ ... لِسَانُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي مَجْلِسِ النَّظَر

ولهذا كان أبو إسحاق يتصدى لخصومه، فيفحمهم، وينقض عُرَى مذاهبهم، وينتصر للحق؛ وكان لا يبغي في ذلك هوى نفسه، أو طمع دنيا، بل كان ديدنه الوصول إلى الحق لا غيره؛ لما عرف عنه من الورع والإخلاص؛ على ما مضى بيانه في صفاته وشيمه -رضي الله عنه.

وكما يدل لذلك -أيضًا- ما وضعه الشيرازي نفسه في كتابه «المُلَخص في الجدل» من الآداب التي يجب أن يتحلى بها المناظر، أو التي يجب أن تتوافر في حلقات الجدل والمناظرة، أهمها إخلاص النية لله عند الشروع في الجدل.

ومن مناظراته الشهيرة التي ذكرها السبكي في «طبقاته» تلك التي وقعت بينه، وبين أبي المعالي الجويني، وقد اعترف له الجويني بالفضل والغلبة.

ثامنًا: تصانيفه:

ترك الشيرازي تراثًا ضخمًا ما زالت المكتبات عامرة به، هذا التراث يشمل أكثر

من فن وعلم، وقد تلقته العلماء بالقبول والدراسة والتحليل؛ ولعل ذلك يرجع إلى مكانة الشيخ أبي إسحاق، ومكانته العظيمة من قلوب الفقهاء والعلماء، كما يرجع إلى إخلاصه وورعه.

وأهم ما تتميز به كتب الشيخ أبي إسحاق سهولة الألفاظ، وجودة الأسلوب، وروعة العرض، والانتقال بين الفكر والنقاط والموضوعات، وخلو الكتابة من التعقيد والغموض والإبهام، وورود الأمثلة والنماذج والتطبيقات، إلى غير ذلك من متطلبات البحث.

والموضوعات أو العلوم التي ألف فيها الشيرازي هي: العقيدة، وعلم الفقه، وأصوله، وعلم الخلاف، والجدل والمناظرة، والتاريخ.

وسنتكلم عن هذه المؤلفات بشيء من الإيجاز في السطور التالية:

١- الإشارة إلى مذهب الحق:

لم يذكره أحد ممن ترجم للشيخ أبي إسحاق الشيرازي، حتى جاء بروكلمان فذكره في كتابه «تاريخ الأدب العربي».

٢- التبصرة في أصول الفقه:

وقد ذكره صاحب «كشف الظنون»، وذكر أن لأبي الفتح عثمان بن جني شرحًا عليه.

وهذا الكتاب يدور حول المسائل الأصولية المختلف فيها؛ فهو إذن موضوع للمتخصصين في أصول الفقه.

٣- تذكرة المسئولين في الخلاف بين المذهبين الحنفي والشافعي:

وقد ذكره صاحب «كشف الظنون»، وذكر أنه كبير في مجلدات.

٤- تلخيص علل الفقه:

ولم يذكره أحد ممن ترجم للشيرازي غير بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي».

٥- التنبيه:

وهو الكتاب الذي يشرحه ابن الرفعة في هذا السفر الذي نحن بصدد تحقيقه، وهو أحد الكتب المشهورة المتداولة بين الشافعية، بل يُعد أكثر كتب الشافعية تداولًا، كما

صرح به النووي في «تهذيبه»، أخذه من تعليقة الشيخ أبي حامد المروزي، بدأ في تصنيفه في أوائل رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، ولبعضهم في مدحه: [الكامل]

يَـا كَـوْكَبًـا مَـلأَ الـبَـصَـائِـرَ نُـورُهُ مَـنْ ذَا رَأَى لَـكَ فِـي الأَنَـامِ شَبِـيـهَـا
كَـانَـتْ خَـوَاطِـرُنَـا نِـيَـامًـا بُـرْهَـةً فَـرُزِقْـنَ مِـنْ تَـنْـبِـيـهِـهِ تَـنْـبِـيـهَـا

وأنشد السمعاني وغيره للرئيس أبي الخطاب علي بن عبد الرحمن بن هارون بن الجراح في مدحه -أيضًا-: [البسيط]

سقْيا لِمَنْ صَنَّفَ التَّنْبِيهَ مُخْتَصِرًا أَلْـفَـاظَـهُ الـغُـرَّ وَاسْـتَـقْـصَـى مَـعَـانِـيـهِ
إِنَّ الإِمَـامَ أَبَـا إِسْـحَـاقَ صَـنَّـفَـهُ لِـلَّـهِ وَالـدِّيـنِ لاَ لِـلْـكِـبْـرِ وَالـتِّـيـهِ
رَأَى عُـلُـومًـا عَـنِ الأَفْـهَـامِ شَـارِدَةً فَـحَـازَهَـا ابْـنُ عَـلِـيٍّ كُـلَّـهَـا فِـيـهِ
بَقِـيـتَ لِـلـشَّـرْعِ إِبْـرَاهِـيـمُ مُـنْـتَـصِـرًا تَـذُودُ عَـنْـهُ أَعَـادِيـهَ وَتَـحْـمِـيـهِ

وقد ذكره صاحب «كشف الظنون»، وذكر أن له شروحًا كثيرة؛ منها:

شرح صاين الدين عبد العزيز بن عبد الكريم الجيلي، المعروف بـ«المفيد»، وسماه «الموضح» إلا أنه لا يجوز الاعتماد على ما فيه من النقول؛ لأن بعض الحُسَّاد حسده عليه، فدس فيه، فأفسده؛ صرح به النووي وابن الصلاح.

وشرح أبي طاهر الكرخي الشافعي، وهو كبير في أربعة مجلدات.

وشرح الإمام أبي الحسن محمد بن مبارك المعروف بـ «ابن الخل الشافعي» المتوفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وهو مجلد سماه: «توجيه التنبيه»، وهو أول من تكلم على «التنبيه»، وليس في شرحه تصوير المسألة، لكنه عللها بعبارة مختصرة.

وشرح الإمام أبي العباس أحمد بن الإمام موسى بن يونس الموصلي المتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

وشرح الإمام تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم، المعروف بـ «الفركاح» الشافعي، المتوفى سنة تسعين وستمائة، وسماه: «الإقليد لدر التقليد»، وقف فيه قبل وصوله إلى كتاب النكاح، ولم يكمله.

وشرح برهان الدين إبراهيم بن الفركاح، ابن الإمام تاج الدين السابق، المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وهي تعليقة حافلة.

وشرح الشيخ نجم الدين محمد بن عقيل البالسي، الشافعي، المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

وشرح الإمام ابن الرفعة، وهو الذي نحن بصدد تحقيقه، وسيأتي الكلام عليه مستوفًى.

وشرح الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي، الشافعي، المتوفى سنة أربع وسبعمائة.

وشرح شمس الدين محمد بن أبي منصور المعروف بـ «ابن السبتي» فرغ من تأليفه سنة ست وسبعمائة.

وشرح شهاب الدين أحمد بن العامري اليمني، الشافعي، المتوفى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

وشرح كمال الدين أحمد بن عيسى بن رضوان العسقلاني، المعروف بـ«ابن الغليوبي» المتوفى سنة تسع وثمانين وستمائة.

وشرح الشيخ علي بن أبي الحزم القرشي المعروف بـ «ابن المتطبب»، الشافعي، المتوفى سنة سبع وثمانين وستمائة.

وشرح علاء الدين علي بن عبد الكافي السبكي، المتوفى سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وهو كبير في أربعة مجلدات.

وشرح جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن الكندي، المتوفى سنة سبع وسبعين وستمائة.

وشرح الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، الشافعي، المتوفى سنة ست وخمسين وستمائة.

وشرح الإمام محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن الحسن النووي، الشافعي، المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة، وهو شرح يقتصر فقط على شرح ما في التنبيه من الغريب، سماه «التحرير»، ذكر فيه أن «التنبيه» من الكتب المباركة النافعة، فينبغي أن يُعتنى بتحريره، وتهذيبه، ومن ذلك نوعان: أهمهما ما يفتى به، وتصحيح ما ترك المصنف تصحيحه، أو خولف فيه، أو جزم بما هو خلاف المذهب، وأنكر عليه.

قال: وقد جمعت ذلك في كراس قبل هذا.

والثاني: بيان لغاته، وضبط ألفاظه.

وعلى التحرير نُكَت للشريف عز الدين حمزة بن أحمد الحسيني الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ثلاث وستين وثمانمائة - سماها «الإيضاح».

وذكر حاجي خليفة في «كشف الظنون» أن للتنبيه مختصرات منها:

مختصر تاج الدين عبد الرحيم بن محمد الموصلي، المتوفى سنة إحدى وسبعين وستمائة، سماه «النبيه في اختصار التنبيه».

ومختصر الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، الشافعي، المتوفى سنة أربع وستين وثمانمائة.

ومختصر أبي الفرج مُفضل بن مسعود التنوخي، سماه: «اللباب».

ومختصر شرف الدين أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي الحموي، الشافعي، المتوفى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

وكما اهتم العلماء بشرح التنبيه واختصاره، اهتموا -أيضًا- بنظمه، فكانت هناك عدة منظومات للتنبيه، منها:

نظم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشيباني اليمني.

ونظم جعفر بن أحمد السراج، المتوفى سنة خمسمائة.

ونظم سعيد الدين عبد العزيز بن أحمد الديري، المتوفى سنة سبع وتسعين وستمائة.

٦- الحدود:

وقد ذكره الزركشي في أكثر من موضع في «البحر المحيط»، منها: قوله: «وقال الشيخ أبو إسحاق في كتابه «الحدود»: الفقيه: من له الفقه، فكل من له الفقه فقيه، ومن لا فقه له، فليس بفقيه ...».

٧- رءوس المسائل:

ذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر»؛ وقد اختصر فيه الشيخ أبو إسحاق كتابه: النكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة.

٨- طبقات الفقهاء:

وقد ذكره صاحب «كشف الظنون».

وقال فيه المراغي: إنه يدل على رسوخ قدمه، وإحاطته بالتاريخ.

وهو كتاب مختصر في تراجم فقهاء القرنين الأول والثاني، والمذاهب الأربعة، والظاهرية.

٩- عقيدة السلف:

وقد ذكره صاحب «كشف الظنون» في موضع بعنوان: «عقائد الفيروزأبادي»، وفي موضع آخر بعنوان «عقيدة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي».

وذكره الإمام السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي في كتابه «إتحاف السادة المتقين»، وذكره بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي».

١٠- الفتاوى:

ولم تسعفنا المراجع التي تحت أيدينا في معرفة شيء عن هذا الكتاب، غير أن الأستاذ محمد حسن هيتو قد نسب هذا الكتاب للشيرازي، دون بيان المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك.

١١- اللُّمع:

وهو كتاب مختصر في أصول الفقه، ألفه الشيرازي بعد كتاب «التبصرة»، وقال في مقدمته: «سألني بعض إخواني أن أصنف له مختصرًا في المذهب في أصول الفقه؛ ليكون ذلك مضافًا إلى ما عملت من التبصرة في الخلاف، فأجبته إلى ذلك، إيجابًا لمسألته، وقضاء لحقه، وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف، وما لابد منه من الدليل».

وقد حوى هذا الكتاب دقائق المسائل في الأصول على صغره، وامتاز بسهولة العبارة ووضوحها؛ وبهذا مدحه أبو الخطاب قائلًا: [البسيط]

أَضْحَتْ بِفَضْلِ أَبِي إِسْحَاقَ نَاطِقَةً ... صَحَائِفٌ شَهِدَتْ بِالعِلْمِ وَالوَرَعِ
بِهَا المَعَانِي كَسِلْكِ العقْدِ كَامِنَةٌ ... وَاللَّفْظُ كَالدُّرِّ سَهْلٌ جِدُّ مُمْتَنِعِ
رَأَى العُلُومَ وَكَانَتْ قَبْلُ شَارِدَةً ... فَحَازَهَا الألْمَعِيُّ النَّدْبُ في اللُّمَعِ
لاَ زَالَ عِلْمُكَ مَمْدُودًا سُرَادِقُهُ ... عَلَى الشَّرِيعَةِ مَنْصُورًا عَلَى البِدَعِ

وقال أبو الحسن القيرواني: [البسيط]

إِنْ شِئْتَ شَرْعَ رَسُولِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا ... تُفْتِي وَتعْلَمُ حَقًّا كُلَّ مَا شرَعَا
فَاقْصِدْ هُدِيتَ أَبَا إِسْحَاقَ مُغْتَنِمًا ... وَادْرُسْ تَصَانِيفَهُ ثُمَّ احْفَظِ اللُّمَعَا

ولكتاب «اللمع» شروح عديدة ذكر بعضها حاجي خليفة في كشف الظنون.

١٢- شرح اللمع:

وهو كتاب قام فيه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بشرح كتابه «اللمع» السابق ذكره.

١٣- المُلَخَّص في الجدل:

وهو كتاب في علم الجدل، قال الشيرازي في مقدمته: «لما رأيت النظر أقوى طريق يدرك به العلم، ويُعرف به الحق، دعتني نفسي إلى تصنيف كتاب ملخص في الجدل، أبين فيه رسومه، وأحكامه... إلخ».

١٤- المعونة:

وهو كتاب في الجدل - أيضًا-، وقد ألفه الشيرازي بعد كتابه السابق «المُلَخَّص في الجدل»، وهو اختصار له كما أشار إلى ذلك في مقدمته، فقال: «لما رأيت حاجة من يتفقه ماسَّةً إلى معرفة ما يعترض به من الأدلة، وما يُجَاب به من الاعتراضات، ووجدت ما عملت من الملخص في الجدل مبسوطًا، صنفت هذه المقدمة؛ لتكون معونة للمبتدئين، وتذكرة للمنتهين، مجزية في الجدل، كافية لأهل النظر، وقدمت على ذلك بابًا في بيان الأدلة؛ ليكون ما بعده من الاعتراضات والأجوبة على ترتيبه...».

١٥- المُلَخَّص في الحديث:

ولم يذكره أحد ممن ترجم للإمام الشيرازي، إلا أن الأستاذ عبد المجيد تركي قد ذكره في مقدمته لكتاب «الوصول».

١٦- المناظرات:

وهو مجموعة من المناظرات المختلفة، وقعت بين الشيرازي وكثير من الفقهاء والعلماء؛ نظرًا لما كان للشيرازي من قدم راسخة في فن الجدل والمناظرة؛ على ما مضى ذكره من قبل.

وقد ذكر هذا الكتاب صاحب «كشف الظنون» تحت عنوان «بحث إمام الحرمين وأبي إسحاق الشيرازي».

١٧- المُذَهَّب في المَذْهَب:

وقد اختلف المترجمون في صحة نسبة هذا الكتاب لأبي إسحاق، فنسبه صاحب

«كشف الظنون» إلى أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الحنبلي، ابن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

بينما ذكرت نسبته إلى الشيرازي في «هدية العارفين»، و«دائرة المعارف الإسلامية».

١٨- المُهَذَّب في الفروع:

ويُعد من أشهر كتب الشافعية في الفقه، لا يُضارعه إلا كتاب «الوسيط» للإمام الغزالي؛ كما يدل لذلك قول النووي في «المجموع»: «واشتهر منها -أي: الكتب المصنفة في الفقه الشافعي- لتدريس المدرسين، وبحث المشتغلين: «المهذب»، و«الوسيط» وهما كتابان عظيمان، صنفهما إمامان جليلان».

وقد حكى النووي -أيضًا- عن الشيخ أبي إسحاق أنه فرغ من تأليف المهذب سنة تسع وستين وأربعمائة.

١٩- نُصح أهل العلم:

وهو كتاب موضوع لتنبيه أهل العلم إلى جملة من الصفات، والأخلاق الطيبة، يجب أن يتصفوا بها، وجملة من الصفات الرذيلة، يجب أن يبتعدوا عنها؛ ولهذا ترجمت له بعض المصادر بأنه رسالة في علم الأخلاق، والمواعظ الحميدة.

٢٠- النُّكت في المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة:

وهو يدور حول كثير من المسائل في فروع الفقه مما وقع فيه الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة.

٢١- نُكَت المسائل، المحذوف منها عيوب الدلائل:

وهو مختصر من كتاب «النكت» السابق، حيث اقتصر فيه الشيرازي على ذكر رءوس المسائل فقط، وجردها من الأدلة للمذهبين.

٢٢- الوصول إلى مسائل الأصول:

وهو يدور حول جملة من مسائل أصول الفقه: كالخبر، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والاستصحاب، والأدلة، والتقليد، والفُتيا، والاجتهاد.

وقد عدَّه بعض المُترجمين للشيرازي شرحًا لكتاب «اللمع».

تاسعًا: شعره:

حملت لنا كتب التراجم والتاريخ كثيرًا من شعر الشيرازي، الذي كان يحفظه، وينشده في مجالسه، سواء في الوعظ والإرشاد، أو الشرح والاستشهاد، أو التسلي.

وشعر الشيرازي ينم عن موهبة متدفقة، ونفس وثابة متحضرة مُتطلعة إلى الأفضل، وشخصية مليئة بالطموح لا تعرف الخمول أو الكسل.

وعنه يقول السبكي في «طبقاته»: «وله -أي: الشيرازي- أدب أعذب من الزلال مازجته المدام، وأزهر من الروض باكره ماء الغمام، وأبهى من المنثور، هذا مع أنه لا يتلون، وأزهى من صفحات الخدود، وإن كان آس العذار على جوانب ورده تكون، لو سمعه ديك الجن لصاح كأنه مصروع، ولو تأمل مقاطيعه ابن قلاقس، لأصبح وهو ذو قلب مقطوع».

ومن شعره: [الوافر]

سألت الناس عن خل وفي ... فقالوا: ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بود حرٍّ ... فإن الحر في الدنيا قليل

ومنه: [مخلع البسيط]

إذا تخلفت عن صديق ... ولم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه ... فإنما وده تكلف

وله أيضًا: [الكامل]

وحديثها السحر الحلال لو انَّه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ود المحدث أنها لم توجز
شرف النفوس ونزهة ما مثلها ... للمطمئن وعقلة المستوفز

وروي عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين الإصطخري الفقيه، قال: أنشدنا الإمام أبو إسحاق الشيرازي ببغداد، ولم يُسم قائلًا: [الطويل]

صبرت على بعض الأذى خوف كله ... وألزمت نفسي صبرها فاستقرت
وجرَّعتها المكروه حتى تدربت ... ولو حملته جملة لاشمأزت
فيا رُبَّ عِزٍّ جَرَّ للنفس ذلة ... ويا ربَّ نفسٍ بالتذلل عزَّت

وما العز إلا خيفة الله وحده	ومن خاف منه خافه ما أقلت
فيا صدق نفسي إن في الصدق راحتي	فأرضى بدنياي وإن هي قلت
وأهجر أبواب الملوك فإنني	أرى الحرص جلابًا لكل مذلة
إذا ما مددت الكف ألتمس الغنى	إلى غير من قال: اسألوني فشلَّت
إذا طرقتني الحادثات بنكبة	تذكرت ما عوفيت منه فقلَّت
وما نكبة إلا ولله منة	إذا قابلتها أدبرت واضمحلت
تبارك رزاق البرية كلها	على ما أراد لا على ما استحقت
فكم عاقل لا يستبيت وجاهل	ترقت به أحواله وتعلت
وكم من جليل لا يرام حجابه	بدار غرور أدبرت وتولت
تشوب القذى بالصفو والصفو بالقذى	ولو أحسنت في كل حال لملت

ومن شعر الشيرازي -أيضًا: [البسيط]

يا عبد كم لك من ذنب ومعصية	إن كنت ناسيها فالله أحصاها
يا عبدُ لا بد من ذنب تقوم له	ووقفة منك تدمي الكف ذكراها

ومن شعره -أيضًا-: [الوافر]

أحب الكأس من غير المدام	وألهو بالحساب بلا حرام
وما حبي لفاحشة ولكن	رأيت الحب أخلاق الكرام

وله: [الوافر]

ولو أني جعلت أمير جيش	لما قاتلت إلا بالسؤال
لأن الناس ينهزمون منه	وقد ثبتوا لأطراف العوالي

وله -أيضًا-: [الوافر]

إذا طال الطريق عليك يومًا	فليس دواؤه إلا الرفيق
تحدثه وتشكو ما تلاقي	ويقرب بالحديث لك الطريق

عاشرًا: ثناء العلماء عليه:

لقد نال الإمام أبو إسحاق الشيرازي -رحمه الله- شُهرة عظيمة، ملأت الآفاق؛

لإخلاصه، وعلو كعبه في العلوم والفنون المختلفة من الفقه، والأصول، والحديث؛ مما جعله محط أنظار العلماء والفقهاء، فأقبلوا عليه يتعلمون منه، وينقلون كتبه، وها هم يمدحونه بما رأوا فيه من صفات النبل والتفوق والنبوغ، بما هو أهل له، وسنتكلم في هذه السطور القليلة عما قاله بعض العلماء من ثناء، ومدح فيه.

قال السمعاني: هو إمام الشافعية، ومدرس النظامية، وشيخ العصر. رحل الناس إليه من البلاد، وقصدوه، وتفرد بالعلم الوافر مع السيرة الجميلة، والطريقة المرضية، جاءته الدنيا صاغرة، فأباها، واقتصر على خشونة العيش أيام حياته، صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب، وكان زاهدًا، ورعًا، متواضعًا، ظريفًا، كريمًا، جوادًا، طلق الوجه، دائم البشر.

وقال أبو بكر الشاشي: أبو إسحاق حجة الله على أئمة العصر.

وقال الموفق الحنفي: أبو إسحاق أمير المؤمنين في الفقه.

وقال الحسن بن علي: أخبرنا جعفر الهمذاني، أخبرنا السلفي: سألت شجاعًا الذهلي عن أبي إسحاق، فقال: إمام أصحاب الشافعي، والمقدم عليهم في وقته ببغداد، كان ثقة، ورعًا، صالحًا، عالمًا بالخلاف علمًا لا يشاركه فيه أحد.

وقال شيرويه الديلمي في «تاريخ همذان»: أبو إسحاق إمام عصره قدم علينا رسولًا إلى السلطان ملكشاه، سمعت منه، وكان ثقة فقيهًا زاهدًا في الدنيا على التحقيق، أوحد زمانه.

وكان الوزير ابن جهير كثيرًا ما يقول: الإمام أبو إسحاق وحيد عصره، وفريد دهره، ومُستجاب الدعوة.

وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني: حكى أبي قال: حضرت مع قاضي القضاة أبي الحسن الماوردي عزاء، فتكلم الشيخ أبو إسحاق واجلًا، فلما خرجنا، قال الماوردي: ما رأيت كأبي إسحاق! لو رآه الشافعي لتجمل به.

وقال السمعاني: سمعت جماعة يقولون: لما قدم أبو إسحاق نيسابور رسولًا تلقوه، وحمل إمام الحرمين غاشيته، ومشى بين يديه، وقال: أفتخر بهذا، وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلامذته وأتباعه، وكفاهم بذلك فخرًا.

حادي عشر: وفاته ورثاؤه:

كانت وفاة الإمام أبي إسحاق الشيرازي -رحمه الله- في بغداد في دار أبي المظفر ابن رئيس الرؤساء.

وذلك يوم الأحد.

وقيل: ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة.

وقيل: جمادى الأولى، سنة ست وسبعين وأربعمائة هجرية، بدار الخلافة من الجانب الشرقي.

وقيل: إنه توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة.

وقيل: في سنة اثنتين وسبعين.

وتحكي كتب التراجم أن الذي غسله تلميذه أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي.

وقد صُلِّي على الشيخ أبي إسحاق مرتين في دار الخلافة بباب الفردوس، صلى عليه فيها أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء، وحضر الصلاة عليه فيها الخليفة المقتدي بأمر الله.

والمرة الثانية: صُلِّي عليه في جامع القصر.

وحكى النووي أنه اجتمع للصلاة عليه خلق كثير.

ودُفن الشيرازي في اليوم الثاني من وفاته، بباب أبرز، وقبره هناك ظاهر، وتسمى مقبرة باب حرب.

وقد رثى الشيرازي عدد كبير من الشعراء، وكان مما قيل في رثائه: [الكامل]

أجرى دموعي بالدم المهراق ... خطب أقام قيامة الآماق

خطب شجا منا القلوب بلوعة ... بين التراقي ما لها من راق

ما لليالي لا تؤلف شملها ... بعد ابن بجدتها أبي إسحاق

إن قيل مات فلم يمت من ذكره ... حي على مر الليالي باق

وهكذا خبا عن سماء الدنيا نجم ساطع، طالما ظل يملؤها بالنور والضياء، وأُسدل الستار على حياة حافلة بالعلم والمعرفة، لكن ذكراه ستظل محفورة في قلوبنا، وستظل كتبه ومؤلفاته راسخة في وجداننا، لا يغيرها مر الليالي، أو كر العشي.

رحم الله الشيرازي بقدر ما قدم للدين الإسلامي، وبقدر ما أخلص لله عز وجل، ونفعنا بعلومه، إنه سميع الدعاء.

المبحث الرابع
ترجمة المصنِّف الإمام ابن الرفعة

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو: أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس[(١)].

اشتهر بـ«ابن الرفعة» ويُكنى -أيضًا- بـ«أبي العباس»، ويُلقب بـ«نجم الدين»، وبـ«الفقيه»؛ لأن الفقه قد صار له سجية حتى قال الحافظ ابن حجر: «اشتهر ابن الرفعة بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل، وإذا أطلق الفقيه، انصرف إليه من غير مشارك»[(٢)].

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد ابن الرفعة - رحمه الله - سنة خمس وأربعين وستمائة بمدينة الفسطاط.

ونشأ نشأة كثير من فقهائنا في أسرة فقيرة مما اضطره إلى أن يمارس بعض الحرف إلى أن حسنت حاله بتوليه القضاء وفي هذا يقول الشوكاني في كتابه «البدر الطالع»: «وكان أولا فقيرًا مضيقا عليه، فباشر في حرفة لا تليق به، فلامه الشيخ تقي الدين بن الصايغ، فاعتذر إليه بالضرورة، فتكلم له مع القاضي، وأحضره درسه، فبحث، وأورد نظائر وفوائد، فأعجب به القاضي، وقال له: الزم الدرس، ففعل ثم ولاه قضاء الواجبات فحسنت حاله».

ومن هذا النص يتضح: أن الإمام ابن الرفعة كان في بداية حياته فقيرًا، ولم يكن من أصحاب الثراء لكن فقره ذلك لم يحجزه عن تحقيق ما يتطلع إليه من الرغبة في

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين (٢/ ١٣٥)، وطبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٦٠١)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/ ٢٤)، ومرآة الجنان (٤/ ٢٤٩)، والبداية والنهاية (١٤/ ٦٠)، والدرر الكامنة (١/ ٣٠٣)، والنجوم الزاهرة (٩/ ٢١٣)، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ١١٥)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٢)، ومفتاح السعادة (٢/ ٣٥٧)، وبروكلمان (٢/ ١٣٣)، وذيله (١/ ١٦٤)، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (٢/ ٨٢)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٢٠)، وذيول العبر في خبر من غبر (٤/ ٢٥)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٢١١).

(٢) ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٠٤).

المعرفة، ومجالسة أهل العلم، حتى وصل إلى ما وصل إليه من الفقه والعلم.

ثالثا: شيوخه:

لكل عالم شيوخ، استقى من علمهم، وارتوى من فنهم، وتأثر بأخلاقهم، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ابن الرفعة:

١- جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الشريف، ضياء الدين أبو الفضل الحسيني القبابي المصري، المعروف بابن عبد الرحيم:

مولده سنة تسع عشرة وستمائة.

تفقه على الشيخين: بهاء الدين القفطي، ومجد الدين القشيري، واستفاد من ابن عبد السلام، وأخذ الأصول عن الشيخين: مجد الدين القشيري، وعبد الحميد الخسرو شاهي، وسمع الحديث من جماعة، ودرس بالمشهد الحسيني، وولي وكالة بيت المال، وكان عارفًا بالمذهب أصوليًا أديبا.

قال عنه ابن كثير في طبقاته: «أحد الأعيان، كان بارعًا في المذهب مناظرًا أفتى بضعًا وأربعين سنة على السداد.

توفي في ربيع الأول، سنة ست وتسعين وستمائة[(١)].

٢- عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة الصنهاجي، الشيخ الإمام سديد الدين أبو عمر التزمنتي؛ نسبة إلى (تزمنت) - بفتح التاء وسكون الزاي، وهي بلدة من صعيد مصر:

مولده سنة خمس وستمائة.

قدم القاهرة، واشتغل بها، وناب في الحكم، ودرس بالمدرسة الفاضلية.

قال السبكي: وكان إمامًا مشهورًا بمعرفة المذهب والتبحر فيه، أخذ عنه ابن الرفعة.

وتوفي في ذي القعدة سنة أربع وسبعين وستمائة، ودفن بسفح المقطم[(٢)].

٣- جعفر بن يحيى بن جعفر المخزومي، الإمام ظهير الدين التزمنتي:

أخذ عن ابن الجميزي، واستفاد من ابن عبد السلام، وكان يستحسن ذهنه، درس

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ١٧٠)، وطبقات السبكي (٨/ ١٣٧).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ١٤٠)، وطبقات السبكي (٨/ ٣٣٦).

بالمدرسة القطبية، وأعاد في مدرسة الشافعي، وكان شيخ الشافعية بمصر في زمانه، أخذ عنه ابن الرفعة، وصدر الدين السبكي، وخلائق.

وله شرح مشكل الوسيط.

قال عنه بعض المؤرخين: إنه كان يفتي لفظًا، ويأبى أن يكتب.

توفي في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة[١].

٤- عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي، قاضي القضاة، تاج الدين، الشهير بـ«ابن بنت الأعز»، والأعز كان وزير الكامل بن العادل:

ولد في رجب سنة أربع وستمائة.

وقيل: سنة أربع عشرة، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية، بتعيين الشيخ عز الدين بن عبد السلام، كما ولي الوزارة ونظر الدواوين، وتدريس مدرسة الشافعي والصالحية، ومشيخة الشيوخ، والخطابة، ولم تجتمع هذه المناصب لأحد قبله.

قرأ على الشيخ زكي الدين المنذري سنن أبي داود، وسمع من غيره وحدث.

قال القطب اليونيني: كان إمامًا فاضلًا متبحرًا، وتقدم في الدولة، وكانت له الحرمة الوافرة عند الملك الظاهر، وكان ذا ذهن ثاقب، وحدس صائب، وجد وسعد وحزم وعزم، مع النزاهة المفرطة وحسن الطريقة والصلابة في الدين والتثبت في الأحكام وتولية الأكفاء، لا يراعي أحدًا، ولا يداهنه، ولا يقبل شهادة مريب.

ونقل السبكي عن ابن دقيق العيد أنه قال: «لو تفرغ ابن بنت الأعز للعلم، فاق ابن عبد السلام[٢]».

وكان يقال: إنه آخر قضاة العدل، وفي أيامه قبل موته بسنتين جعل القضاة أربعة؛

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ١٧١)، وطبقات السبكي (٨/ ١٣٩).

(٢) العز بن عبد السلام هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، الشيخ الإمام العلامة، وحيد عصره، سلطان العلماء، عز الدين، أبو محمد، السلمي، الدمشقي ثم المصري، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، جمع بين فنون العلم من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية، واختلاف أقوال الناس ومآخذهم، حتى قيل: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنف التصانيف المفيدة، ومن تصانيفه: اختصار النهاية، والقواعد الكبرى، والقواعد الصغرى، وغير ذلك كثير.
ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ١٠٩)، طبقات السبكي (٨/ ٢٠٩).

لأنه طلب منه أن يفوض إحدى القضايا إلى حنفي؛ لكونها لا تسوغ إلا على مذهبه، فامتنع، وكانت العادة أن يستنيب قاضي القضاة من كل مذهب واحدًا؛ ليحكم في الأمور السائغة على مذهبه، فلما امتنع ابن بنت الأعز من ذلك في تلك القضية، أشير بتولية أربعة مستقلين من المذاهب، فَفُعِل ذلك في مصر في سنة ثلاث وستين وستمائة، ثم في دمشق سنة أربع وستين وستمائة.

وتوفي ابن بنت الأعز في رجب سنة خمس وستين وستمائة، ودفن بسفح المقطم(١).

٥- محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى بن موسى بن نصر الله، قاضي القضاة، تقي الدين أبو عبد الله العامري الحموي:

ولد في شعبان، سنة ثلاث وستمائة بحماة، وحفظ التنبيه في صغره، ثم انتقل عنه إلى الوسيط، فحفظه كله، وحفظ المفصل كله، ورحل إلى حلب، فقرأه على موفق الدين ابن يعيش، ورجع إلى حماة، وتصدر للإقراء والفتوى، وله ثماني عشرة سنة، وحفظ المستصفى للغزالي، وكتابي ابن الحاجب في الأصول والنحو، ونظر في التفسير، وبرع فيه.

قال الذهبي: وكان حميد السيرة، حسن الديانة، كثير العبادة، كبير القدر، جميل الذكر.

وكان ابن الرفعة يبالغ في الثناء على فقهه، ويقول عنه: شيخ مشايخ الإسلام، وكان القاضي بدر الدين بن جماعة يبالغ في الثناء عليه.

ومما يدل على جلالة قدره أن الشيخ محيي الدين النواوي نقل عنه في الأصول والضوابط مع تأخر وفاته عنه.

توفي بالقاهرة في رجب سنة ثمانين وستمائة، ودفن بالقرافة(٢).

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م (٢/ ١٣٨)، وطبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م (٨/ ٣١٨).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ١٤٧)، وطبقات السبكي (٨/ ٤٦).

٦- محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة، القشيري، الشيخ، الإمام، شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح ابن الشيخ القدوة العالم مجد الدين، المنفلوطي، المصري، ابن دقيق العيد:

ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، وتفقه على والده بقوص، وكان والده مالكي المذهب.

ثم تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فحقق المذهبين، وسمع الحديث من جماعة، ثم ولي قضاء الديار المصرية، ودرس في مدرسة الشافعي، ودار الحديث الكاملية، وغيرهما.

بسط السبكي ترجمته في الطبقات الكبرى، قال: ولم ندرك أحدًا من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علمًا ودينًا.

وله مصنفات عديدة في أصول الدين، وعلوم الحديث، منها: الاقتراح في اختصار علوم ابن الصلاح، والأربعين في الرواية عن رب العالمين، وفوائد حديث بريرة - قريبًا من مائتي فائدة - وشرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية، ولم يكمله، وعلق شرحًا على مختصر التبريزي، وشرحًا على مختصر أبي شجاع، وله ديوان خطب مشهورة بليغة، وله شعر كثير بليغ رقيق.

توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمائة، ودفن في القرافة الصغرى(١).

٧- نور الدين علي بن نصر الله بن عمر، القرشي، المصري، ابن الصواف الشافعي:

وهو الذي روى عن ابن باقا أكثر سنن النسائي سماعًا، وتفرد واشتهر، وسمع من جعفر الهمداني، والعلم ابن الصابوني، وله إجازة أبي الوفا محمود بن منده من أصبهان، وتوفي في رجب، وقد قارب التسعين(٢).

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢٢٩)، والوافي بالوفيات (٤/ ١٩٣)، والدرر الكامنة (٤/ ٩١)، والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٦).
(٢) ينظر: شذرات الذهب (٦/ ٣١).

٨- محيي الدين عبد الرحيم بن عبد المنعم المصري:

أخذ من الحافظ علي بن المفضل، وأبي طالب بن حديدة، وأكثر عن الفخر الفارسي، وكان إمامًا فاضلًا دينًا، توفي في المحرم وله تسعون سنة(١).

٩- الحسن بن الحارث بن الحسن بن خليفة بن نجا بن الحسن بن محمد بن مسكين، القرشي، الزهري، الشيخ، العلامة عز الدين، المعروف بـ«ابن مسكين»:

وهو من أولاد الحارث بن مسكين، أحد المالكية المعاصرين للشافعي.

قال ابن كثير في طبقاته: كان من أعيان الشافعية في الديار المصرية، وكان عُيِّنَ لقضاء دمشق، فامتنع؛ لمفارقة الوطن.

وقال الإسنوي: درس في الشافعية وكان من أعيان الشافعية الصلحاء، كتب ابن الرفعة تحت خطه: «جوابي كجواب سيدي، وشيخي».

وتوفي في جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة(٢).

رابعًا: تلاميذه:

برغم ما حظي به ابن الرفعة من شهرة واسعة؛ فإنه كان غاية في التواضع، بعيدًا عن الكبر، حتى نهل منه كثير من طلبة العلم في عصره، ومن أبرز هؤلاء:

١- علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، الأنصاري، الخزرجي:

الشيخ، الإمام، الفقيه، المحدث، الحافظ، المفسر، الأصولي، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، تقي الدين أبو الحسن بن القاضي زين الدين أبي محمد السبكي.

ولد في (سبك) من أعمال المنوفية بمصر، في مستهل صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

وتفقه به جماعة من الأئمة، منهم: الإسنوي، وأبو البقاء، وابن النقيب، وقريبه: تقي الدين أبو الفتح وأولاده، وغيرهم من الأئمة الأعلام، وولي قضاء دمشق.

---

(١) ينظر: السابق (٥/ ٤٣١).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢١٣).

وقد قال الإسنوي في طبقاته عن شيخه السبكي: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلامًا في الأشياء الدقيقة.

ومصنفاته تزيد على المائة والخمسين، وفي آخر عمره استعفى من القضاء، ورجع إلى مصر متضعفًا، فأقام فيها دون العشرين يومًا.

ومن تصانيفه: الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم، والابتهاج في شرح المنهاج، وصل فيه إلى الطلاق في ثمانية أجزاء، وتكملة شرح المهذب، وغير ذلك من المصنفات النافعة.

وتوفي في جمادى الآخرة، سنة ست وخمسين وسبعمائة، ودفن في مقابر الصوفية(١).

٢- محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى، الشيخ عماد الدين، البلبيسي، المصري:

أخذ الفقه عن ابن الرفعة، والظهير التزمنتي، والجمال الوجيزي، وغيرهم، وسمع من الدمياطي وغيره، وولي قضاء الإسكندرية، ثم امتحن وعزل، وكان صبورًا على الأشغال، ويحث على الاشتغال بالحاوي.

قال الإسنوي: كان من حفاظ مذهب الشافعي، كثير التولع بالألغاز الفروعية، محبًا للفقراء، شديد الاعتقاد فيهم، ودرس في المالكية وجامع آقسنقر.

وقال عنه الحافظ زين الدين العراقي: انتفع به خلق كثير من أهل مصر والقاهرة.

توفي شهيدًا في شعبان سنة تسع وأربعين وسبعمائة؛ وقد قارب السبعين، ودفن خارج باب البرقية(٢).

٣- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، القاضي، الإمام، ضياء الدين المناوي:

مولده في منية القائد، سنة خمس وخمسين وستمائة، وسمع من جماعة، وأخذ الفقه عن ابن الرفعة وطبقته، وقرأ النحو على بهاء الدين بن النحاس، والأصول على

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٣٧)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (١٠/ ١٣٩).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ٥٨)، وطبقات السبكي (٩/ ١٢٨).

الأصفهاني، والعراقي، وأفتى، وحدث، ودرس في قبة الشافعي، وغيرها، وولي وكالة بيت المال، ونيابة الحكم في القاهرة.

قال الإسنوي: ووضع على التنبيه شرحًا مطولًا. وكان دينًا، مهيبًا، سليم الصدر، كثير الصمت والتصميم، لا يحابي أحدًا، منقطعًا عن الناس. توفي في رمضان سنة ست وأربعين وسبعمائة، ودفن في القرافة(١).

٤- محمد بن أحمد بن عبد المؤمن، الإمام العلامة، شمس الدين بن اللبان، المصري:

ولد سنة خمس وثمانين، أو نحوها، وسمع الحديث في دمشق، والقاهرة من جماعة، وتفقه بابن الرفعة وغيره.

وله مصنفات؛ منها: ترتيب الأم للشافعي ولم يبيضه، واختصر الروضة، ولم يشتهر؛ لغلاقة لفظه، وجمع كتابًا في علوم الحديث، وكتابًا في النحو، وله تفسير لم يكمله، وله كتاب متشابه القرآن والحديث، تكلم فيه على بعض الآيات والأحاديث المتشابهات بكلام حسن على طريقة الصوفية.

وقال الإسنوي: كان عارفًا بالفقه والأصلين والعربية، أديبًا، شاعرًا، ذكيًّا، فصيحًا، ذا همة وصرامة وانقباض عن الناس.

توفي شهيدًا في شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

خامسًا: أقرانه:

لمعت في القرن السابع الهجري كوكبة غفيرة من أهل العلم من أقران المصنِّف: شيخنا العلامة ابن الرفعة، ومن هؤلاء:

١- أحمد بن محمد بن مكي بن ياسين، القرشي، المخزومي، الشيخ، العلامة نجم الدين أبو العباس القمولي نسبة إلى (قمولا)، وهي قرية مصرية قريبة من قوص:

اشتغل إلى أن برع، ودرس، وأفتى، وصنف، وولي قضاء قوص، ثم إخميم، ثم

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ٤٧)، وطبقات الإسنوي (٢/ ٢٥٨).

أسيوط والمنيا والشرقية والغربية، ثم ولي نيابة الحكم في القاهرة، وحسبة مصر مع الوجه القبلي، ودرس في الفخرية في القاهرة، والفائزية في مصر، وشرح الوسيط شرحًا مطولًا أقرب تناولًا من المطلب وأكثر فروعًا وإن كان كثير الاستمداد منه.

قال الإسنوي: لا أعلم كتابًا في المذهب أكثر مسائل منه، وسماه: البحر المحيط في شرح الوسيط، ثم لخص أحكامه خاصة كتلخيص الروضة من الرافعي، سماه: جواهر البحر، وشرح مقدمة ابن الحاجب في النحو شرحًا مطولًا، وشرح الأسماء الحسنى في مجلد، وكمل تفسير الإمام فخر الدين الرازي.

وقال عنه السبكي في الطبقات الكبرى: كان من الفقهاء المشهورين، والصلحاء المتورعين، يحكى أن لسانه كان لا يفتر عن قول: لا إله إلا الله، ولم يبرح يفتي ويدرس ويصنف ويكتب، وكان الشيخ صدر الدين ابن الوكيل يقول فيما نقل لنا عنه: ليس بمصر أفقه من القمولي.

وكان مع جلالته في الفقه عارفًا بالنحو والتفسير.

مات في رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة، عن ثمانين سنة، ودفن في القرافة.

٢- أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل، الشيخ العالم، شهاب الدين أبو العباس، الحلبي الأصل، الدمشقي، المعروف بـ«ابن جهبل»:

ولد سنة سبعين وستمائة.

قال عنه السبكي: درس وأفتى، وشغل مدة بالعلم في القدس ودمشق.

وتوفي في دمشق في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ودفن في مقابر الصوفية[(١)].

٣- علي بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن بن يحيى بن الحسن بن موسى، الشيخ، الإمام، نور الدين أبو الحسن البكري:

من ولد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢٥٤)، وطبقات السبكي (٩/ ٣٠).

ذكر السبكي في الطبقات الكبرى أنه صنف كتابًا في البيان وأنه كان من الأذكياء، وقد أوصى ابن الرفعة بأن يكمل شرحه على الوسيط، وكان رجلًا خيرًا، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، وقد واجه مرة الملك الناصر بكلام غليظ، فأمر السلطان بقطع لسانه حتى شفع فيه.

وتوفي في شهر ربيع الآخر، سنة أربع وعشرين وسبعمائة، ودفن في القرافة(١).

٤- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف، الشيخ العلامة الزاهد، ولي الدين أبو عبد الله، العثماني الديباجي، المعروف بـ«ابن المنفلوطي»:

مولده سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، سمع من جماعة، وتفقه، وبرع في فنون العلم.

قال الحافظ ولي الدين بن العراقي: برع في التفسير، والفقه، والأصول، والتصوف، وكان متمكنًا من هذه العلوم، قادرًا على التصرف فيها، فصيحًا، حلو العبارة، حسن الوعظ، كثير العبادة والتأله، جمع، وألف، وشغل، وأفتى، ووعظ، وذكر، وانتفع الناس به.

وقال الحافظ شهاب الدين بن حجي: تفرد بحسن التدريس، وكان يتصوف، وكان من ألطف الناس وأظرفهم شكلًا وهيئة، وله تواليف بديعة الترتيب.

توفي في شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وسبعمائة(٢).

سادسًا: ثناء العلماء عليه:

كان ابن الرفعة إمامًا في كثير من العلوم؛ ولذلك أثنى عليه غير واحد من علماء وفقهاء عصره، ومن جاء بعدهم ممن ترجم له ثناء يدل على عظم مكانته العلمية المتميزة، وإلمامه الشامل بأصول المذهب وفروعه، وقوته في الترجيح مما يؤكد علو منزلته العلمية ومن ذلك ما يلي.

قال ابن السبكي(٣): ما خرَّجت مصر بعد ابن الحداد نظيره، ولا سكن ربعها -

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢٧٤)، وطبقات السبكي (١٠/ ٣٧٠).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ١١٣).

(٣) ابن السبكي هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام العلامة قاضي القضاة، تاج الدين أبو نصر السبكي. مولده بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة، واشتغل على والده وعلى غيره، وقرأ على الحافظ المزي ولازم الذهبي، قال ابن =

وهو خلاصة الربع العامر - أروج منه، ولقد كان عصره محتوشًا بالأئمة إلا أنها سلمت وأذعنت له.

لو رآه ابن الصباغ لقال: هذا الذي صبغ من النشأة عالمًا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨] سار اسمه في مشارق الأرض ومغاربها، وطار ذكره، فكان ملء حواضرها وبواديها وقفارها وسباسبها تقول له الزهرة: ما أزهرك! والسماك: ما أسماك! ثم استطرد ابن السبكي قائلا: أقسم بالله يمينًا برة لو رآه الشافعي، لتبجح بمكانه، وترجح عنده على أقرانه، وترشح لأن يكون في طبقة من عاصره وكان في زمانه.

ولو شاهده المزني، لشهد له بما هو أهله، ولقال: إنَّ البدر من دون محله؛ وإن النيل ما أنيل مثله، ولا سكن إلى جانبه مثله.

ولو اجتمع به البويطي، لقال: ما أخرجت بعدنا مثله الصعيد، ولا وفى النيل قط بمثل هذا الوفاء السعيد، ولا أتى بأصابع لكن بأياد في أيام عيد.

ولو عاينه الربيع لقال: هذا فوق قدر الزهر، وأحسن من الروض باكره الندى أوقات البكر، وألطف من شمائل النشوان لعبت به الشمول أو أعطاف الأغصان حركها نسيم السحر.

وقال ابن السبكي أيضًا: أخذ عنه الفقه الوالد - رحمه الله - وسمعته يقول: إنه عندي أفقه من الروياني صاحب البحر.

ووصفه الذهبي[١] في العبر بقوله:ومات بمصر شيخ الشافعية الشيخ نجم الدين.

= كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض قبله، وحصل له من المناصب ما لم يحصل لأحد قبله، من تصانيفه: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، والطبقات الكبرى، والترشيح، توفي شهيدًا بالطاعون في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة هـ.
ينظر: طبقات الشيرازي (١٤٣)، وفيات الأعيان (١/ ٣٠٤).

(١) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الإمام العلامة الحافظ المقرئ، مؤرخ الإسلام، أبو عبد الله، المعروف بالذهبي، ولد في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة، قال السبكي: محدث العصر، وخاتم الحفاظ، القائم بأعباء هذه الصناعة، وحامل راية أهل السنة والجماعة، إمام أهل عصره حفظًا وإتقانًا، وفرد الدهر الذي يذعن له أهل عصره، من تصانيفه: تاريخ الإسلام، وصل فيه إلى سنة سبعمائة، واختصر منه مختصرات كثيرة، وله العبر، وسير أعلام النبلاء، وغير ذلك، توفي في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.
ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٥٥)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (٩/ ١٠٠).

ووصفه ابن قاضي شهبة[١]: بالعالم، العلامة، شيخ الإسلام، وحامل لواء الشافعية في عصره، نجم الدين.

وقال الشوكاني[٢] - رحمه الله في البدر الطالع -: سئل ابن تيمية عنه - يعني: عن ابن الرفعة - فقال: رأيت شيخًا يتقاطر فقه الشافعية من لحيته.

وقال الإسنوي[٣] كان شافعي زمانه، وإمام أوانه مد في مدارك الفقه باعًا وتوغل في مسائله علمًا وطباعًا، إمام مصر بل سائر الأمصار، وفقيه عصره في سائر الأقطار، ولم يخرج إقليم مصر بعد ابن الحداد من يدانيه ولا نعلم في الشافعية مطلقًا بعد الرافعي من يساويه، كان أعجوبة في استحضار كلام الأصحاب لا سيما في غير مظانه، وأعجوبة في معرفة نصوص الشافعي، وأعجوبة في قوة التخريج دينًا خيرًا محسنًا إلى الطلبة.

---

(١) هو: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب، تقي الدين، المعروف بابن قاضي شهبة، ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة هـ، درس الفقه الشافعي مدة طويلة وكان يُعد من أقطابه في عصره. من تصانيفه: شرح التنبيه، والنكت على التنبيه، وشرح المنهاج، والنكت على المهمات، والطبقات وغير ذلك، توفي سنة إحدى وخمسين وثمانمائة هـ.

ينظر: الضوء اللامع (١١/ ٢١)، والنجوم الزاهرة (٧/ ٣١٤)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٦٩).

(٢) الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، بهجرة شوكان، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، وهو فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن. من مصنفاته: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية، وفتح القدير في التفسير، وغير ذلك. توفي سنة خمسين ومائتين وألف.

ينظر: البدر الطالع (٢/ ٢١٤، ٢٢٥)، نيل الوطر (١/ ٣).

(٣) هو: عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر، الإمام العلامة، جمال الدين أبو محمد القرشي، ولد بإسنا في رجب سنة أربع وسبعمائة، أخذ الفقه عن الزنكلوني والسنباطي، والسبكي، وغيرهم، وأخذ النحو عن أبي حيان وقرأ عليه التسهيل، وتصدى للأشغال والتصنيف، وصار أحد مشايخ القاهرة المشار إليهم، قال ابن الملقن: شيخ الشافعية، ومفتيهم، ومصنفهم، ومدرسهم، ذو الفنون: الأصول والفقه والعربية وغير ذلك، توفي فجأة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٩٨)، الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٤)، شذرات الذهب (٦/ ٢٢٤).

سابعًا: تصانيفه:

أسهم الإمام ابن الرفعة في إثراء المكتبة الإسلامية والعربية بمؤلفات نفيسة، وتصنيفات عزيزة، ومن أبرزها ما يلي:

١- المطلب العالي في شرح الوسيط للغزالي.

وهو يُعد من أهم شروح الوسيط للغزالي، ولكن لم يتمه الشيخ(١).

٢- كفاية النبيه:

وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه وسوف نفرد له حديثًا خاصًّا فيما بعد.

٣- الإيضاح والتبيان في معرفة الكيل والميزان.

وهو كتاب مطبوع، طبع بمطبعة كردستان، القاهرة.

٤- الرتبة في طلب الحسبة، ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة(٢).

٥- بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية.

٦- النفائس في هدم الكنائس(٣).

وهو كتاب في غاية النفاسة، يتعلق بأحكام الكنائس من حيث البناء والترميم والصيانة وغيرها من الأحكام المتعلقة بأهل الذمة.

٧- رسالة الكنائس والبيع(٤).

وهي رسالة تتعلق بأحكام أهل الذمة في كنائسهم وبيعهم، ولعلها اختصار لكتابه

---

(١) ينظر: الكلام عليه في كشف الظنون (٢/ ٢٠٠٨).
(٢) ينظر: النجوم الزاهرة (٩/ ٢١٣).
(٣) ينظر: كشف الظنون (١/ ٨٨٦).
(٤) ينظر: السابق الصفحة نفسها (١/ ٨٨٦).

السابق (النفائس في هدم الكنائس).

ثامنًا: وفاته:

بعد رحلة مع الدرس الفقهي والعلمي والتصنيف، توفي الإمام العلامة نجم الدين، ابن الرفعة، في ليلة الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة عشر وسبعمائة هجرية، ودفن بالقرافة[(١)].

(١) ينظر: طبقات الشافعية لابن السبكي (٥/ ١٧٨)، والدرر الكامنة (٣/ ٣٠٤)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٢).

المبحث الخامس
ترجمة الإمام الإسنوي صاحب الحاشية على الكفاية

أولاً: اسمه وكنيته:

هو: عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم، الأموي، الإسنوي، جمال الدين، أبو محمد القرشي[(١)].

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد الإسنوي -رحمه الله- في العشر الأخير من ذي الحجة بإسنا-وهي قرية من قرى صعيد مصر- سنة أربع وسبعمائة، ثم رحل منها إلى القاهرة؛ طلبًا للعلم في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وهناك أخذ الفقه عن الزنكلوني، والسنباطي، والسبكي، وغيرهم، وأخذ النحو عن أبي حيان وقرأ عليه التسهيل؛ على ما سيأتي في الحديث عن شيوخه فيما يلي:

ثالثًا: شيوخه:

تلمذ الإسنوي لعدد من جلة المشايخ نورد ترجمتهم فيما يلي:

١- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الغرناطي الأندلسي الجياني، النفري، أثير الدين، أبو حيان.

من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات.

ولد في إحدى جهات غرناطة، سنة أربع وخمسين وستمائة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة.

واشتهرت تصانيفه في حياته، وقرئت عليه.

ومن كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن، وتحفة الأريب في غريب القرآن،

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٩٨)، والدرر الكامنة (٢/ ٣٥٤)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٢٤)، وبغية الوعاة (٢/ ٩٢)، وحسن المحاضرة (١/ ٤٢٩)، والبدر الطالع (١/ ٣٥٢)، وطبقات الشافعية لابن هداية الله (٢/ ٢٣٦).

ومنهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك.

توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة، بعد أن كف بصره[(١)].

٢- علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري، نور الدين، أبو الحسن.

هو والد سراج الدين بن الملقن، كان عالمًا باللغة نحوًا وصرفًا.

توفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة[(٢)].

٣- محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر بن صالح، الشيخ قطب الدين، أبو عبد الله السنباطي المصري.

ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة، كما قال الكمال الإدفوي.

وقال الإسنوي: كان إمامًا، حافظًا فقيهًا كبيرًا، عارفًا بالأصول، دينًا خيرًا، سريع الدمعة، متواضعًا، حسن التعليم، متلطفًا بالطلبة.

توفي بالقاهرة في ذي الحجة، سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة[(٣)].

٤- أحمد بن محمد بن سليمان، الواسطي الأصل، المصري، الشيخ جمال الدين الوجيزي، لقب بذلك؛ لكونه كان يحفظ الوجيز للغزالي.

ولد سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

قال الإسنوي: كان إمامًا، حافظًا للفقه، عنده غرائب كثيرة، مداومًا على الاشتغال والإشغال إلى حين وفاته على كبر سنه.

توفي في رجب سنة تسع وعشرين وسبعمائة[(٤)].

٥- علي بن إسماعيل بن يوسف، الشيخ العلامة قاضي القضاة وشيخ الشيوخ، فريد العصر.

---

(١) ينظر: الدرر الكامنة (٤/ ٣٠٢)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٨٢)، وغاية النهاية (٢/ ٢٨٥)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥).

(٢) ينظر: أنباء الغمر (٥/ ٤١)، وبغية الوعاة (٢/ ١٤٤).

(٣) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢٨٨).

(٤) ينظر: السابق (٢/ ٢٥١).

ولد بمدينة قونوة سنة ثمان وستين وستمائة.

قال الإسنوي: كان أجمع من رأيناه للعلوم مع الاتساع فيها، خصوصًا العلوم العقلية واللغوية، لا يشار فيها إلا إليه، ولا يحال فيها إلا عليه، وكان من عقلاء الرجال والقليل الأمثال، تخرج به أكثر علماء الديار المصرية من الطوائف كلها.

توفي بدمشق في ذي القعدة سنة ثمان أو تسع وعشرين وسبعمائة(١).

٦- محمد بن أسعد، الشيخ بدر الدين التستري.

أخذ عنه الإسنوي وقال: كان فقيهًا، إمام زمانه في الأصلين، والمنطق، والحكمة، مدققًا، وكان أعجوبة في معرفة مصنفات متعددة بخصوصها، مطلعًا على أسرارها.

من تصانيفه: شرح منهاج البيضاوي، والطوالع والمطالع، والغاية القصوى، وغير ذلك.

توفي في نيف وثلاثين وسبعمائة(٢).

٧- محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، العجلي، القزويني، ثم الدمشقي.

الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة جلال الدين أبو عبد الله، مولده بالموصل في شعبان سنة ست وستين وستمائة.

قال الإسنوي: كان فاضلًا في علوم، كريمًا مقدامًا، ذكيًا مصنفًا، وإليه ينسب كتاب الإيضاح والتلخيص في علمي المعاني والبيان، توفي في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين(٣).

٨- أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز، الشيخ، العلامة، الصالح، مجد الدين، الزنكلوني المصري.

مولده سنة سبع وسبعين وستمائة.

قال الإسنوي: كان إمامًا في الفقه، أصوليًا، محدثًا، نحويًا، ذكيًا، حسن التعبير، قانتًا لله.

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢٧١).
(٢) ينظر: السابق (٢/ ٢٨٤).
(٣) ينظر: السابق (٢/ ٥٨٦).

ومن تصانيفه: شرح التنبيه، والمنتخب مختصر الكفاية، وشرح المنهاج، وغير ذلك.

توفي في ربيع الأول سنة أربعين وسبعمائة[(١)].

٩- السبكي تقي الدين علي بن عبد الكافي.

وقد تقدمت ترجمته في تلاميذ ابن الرفعة.

١٠- يونس بن إبراهيم بن عبد القوي بن قاسم بن داود، الكناني، العسقلاني، الدبابيسي، فتح الدين.

ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وتوفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وقد جاوز التسعين[(٢)].

١٢- الحسين بن أسد بن مبارك بن الأثير الحنبلي، شمس الدين الواعظ.

ولد سنة إحدى وخمسين وستمائة.

وتوفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة[(٣)].

وغير هؤلاء الكثير من نهل منهم الإسنوي؛ حيث كان عصره من العصور التي كانت الحركة الفكرية والعلمية مزدهرة فيها من حين لآخر.

رابعًا: تلاميذه:

تلمذ على يد الإسنوي عدد ممن برزت أسماؤهم في سماء العلم والفقه، منهم:

١- إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى، اللخمي الأميوطي، جمال الدين.

ولد سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وقد لازم الإسنوي، واشتغل بالفقه والأصول.

وله شرح على قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد التي مطلعها: [البسيط].

---

(١) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٢/ ٢٤٦)، وطبقات السبكي (٩/ ٤٠٠).

(٢) ينظر: الدرر الكامنة (٥/ ٢٥٩)، وحسن المحاضرة (١/ ٣٩٣)، وشذرات الذهب (٦/ ٩٢)، ومعجم المؤلفين (١٣/ ٣٤٥).

(٣) ينظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٣٦)، والنجوم الزاهرة (٩/ ٣٠٧).

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُفْدَ مكبول[١]

توفي سنة تسعين وسبعمائة[٢].

٢- محمد بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الحق بن عبد الخالق، القاضي بدر الدين أبو اليمن.

ولد في صفر سنة ست - وقيل: سنة سبع - وخمسين وسبعمائة، أخذ الفقه عن والده شيخ الإسلام، وتوفي بالقاهرة في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة[٣].

٣- محمد بن بهادر بن عبد الله.

العالم، العلامة، المصنف، المحرر، بدر الدين أبو عبد الله المصري، الزركشي، مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة، أخذ عن الشيخين: جمال الدين الإسنوي، وسراج الدين البلقيني، ورحل إلى حلب إلى شهاب الدين الأذرعي، وتخرج بمغلطاي في الحديث.

كان فقيهًا، أصوليًّا، أديبًا، فاضلًا في جميع ذلك، ودرس، وأفتى.

ومن تصانيفه: تكملة شرح المنهاج للإسنوي، وخادم الشرح والروضة، وغير ذلك.

توفي في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة[٤].

٤- إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري.

ولد بأبناس من قرى الوجه البحري بمصر، سنة خمس وعشرين وسبعمائة، انتقل للقاهرة شابًّا، وتفقه وسمع الحديث بها وبمكة والشام.

من تصانيفه: العدة من رجال العمدة، والدرة المضية في شرح الألفية، والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح.

توفي سنة اثنتين وثمانمائة[٥].

---

(١) شرح ديوان كعب بن زهير، ص (٦).
(٢) أنباء الغمر (٢/ ٢٩٥)، وشذرات الذهب (٦/ ٣١٢).
(٣) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ١٧١).
(٤) ينظر: السابق (٣/ ١٦٧).
(٥) ينظر: الضوء اللامع (١/ ١٧٢)، وشذرات الذهب (٧/ ١٣).

٥- عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله.

الشيخ الإمام العالم العلامة، عمدة المصنفين، سراج الدين أبو حفص الأنصاري، المعروف بابن الملقن، ولد في ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، أخذ عن الإسنوي، وعن غيره من شيوخ العصر.

ومن محاسن تصانيفه: شرح الحاوي، وشرح البخاري في عشرين مجلدًا، وتخريج أحاديث الرافعي، سماه: (البدر المنير)، وغير ذلك.

توفي في ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة(١).

٦- عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم.

زين الدين أبو الفضل، العراقي الأصل، ولد في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، ومن تصانيفه: طرح التثريب، ونكتًا على ابن الصلاح، وشرع في تكملة شرح الترمذي تذييلًا على ابن سيد الناس لكنه لم يكمله.

توفي في شعبان سنة ست وثمانمائة(٢).

٧- أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي، أبو العباس، شهاب الدين الأقفهسي.

ولد سنة خمسين وسبعمائة بالقاهرة، وكان كثير الاطلاع.

من تصانيفه: التعقبات على المهمات، وشرح المنهاج، والسر المستبان مما أودعه الله من الخواص في أجزاء الحيوان، ومنظومة في آداب حملة القرآن، وأخرى في العقائد، وثالثةٌ في المعفوات، وله الذريعة في أعدال الشريعة.

توفي سنة ثمان وثمانمائة(٣).

٨- محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين.

باحث، أديب، من أهل دميرة (بمصر)، ولد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بالقاهرة، وأقام مدة بمكة والمدينة.

---

(١) ينظر: طبقات الشافعية ابن قاضي شهبة (٣/ ٤٣).

(٢) ينظر: السابق (٤/ ٢٩).

(٣) ينظر: الضوء اللامع (٢/ ٤٧)، والبدر الطالع (١/ ٩٣).

من تصانيفه: حياة الحيوان، وحاوي الحسان من حياة الحيوان، وغير ذلك، توفي سنة ثمان وثمانمائة هـ[١].

٩- عبد الرحمن بن علي بن خلف، الفارسكوري، المصري، العلامة زين الدين.

ولد سنة خمس وخمسين وسبعمائة، وأخذ الفقه عن الشيخين: جمال الدين الإسنوي، وسراج الدين البلقيني.

من تصانيفه: شرح على شرح ابن دقيق العيد للعمدة، أجاد فيه.

وكان له حظ من العبادة والمروءة.

توفي بالقاهرة في رجب سنة ثمان وثمانمائة[٢].

١٠- محمد بن أحمد بن خليل القرافي، الشيخ شمس الدين.

ولد قبل الستين وسبعمائة، وأخذ عن الشيخين: جمال الدين الإسنوي، وسراج الدين البلقيني، وغيرهم، وكان قد سمع الحديث من القاضي عز الدين بن جماعة وغيره.

توفي في شعبان سنة ست عشرة وثمانمائة[٣].

١١- أبو بكر بن حسين بن عمر بن محمد بن يونس بن أبي الفخر بن عبد الرحمن ابن نجم الدين العثماني.

ولد سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، قرأ على الشيخ تقي الدين السبكي، وحضر درس الشيخ شمس الدين بن اللبان، ولازم الشيخ جمال الدين الإسنوي.

توفي بالمدينة في ذي الحجة، سنة ست عشرة وثمانمائة[٤].

١٢- محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية، جمال الدين أبو حامد.

ولد ليلة عيد الفطر سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، وسمع على الشيخ خليل

---

(١) ينظر: الفوائد البهية ص (٢٠٣)، ومفتاح السعادة (١/ ١٨٦).
(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ٢٧).
(٣) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ٥١).
(٤) ينظر: السابق (٣/ ٧).

المالكي، وعلى الشيخ عبد الله اليافعي، وعلى القاضي عز الدين ابن جماعة.

قال الحافظ شهاب الدين بن حجر: اشتغل بالفقه والفنون، وعني بالحديث، وتصدى للإفادة قديمًا، واستمر على ذلك مع الدين والخير والصبر على الطلبة.

من تصانيفه: كتب على الحاوي من البيع إلى الوصايا، وجمع جزءًا فيما يتعلق بزمزم، ونظم قواعد الإعراب لابن هشام.

توفي في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة بمكة(١).

١٣- إبراهيم بن أحمد، البيجوري، المصري، الشيخ، الفقيه، برهان الدين.

ولد قبل الخمسين وسبعمائة، وأخذ عن الشيخ جمال الدين الإسنوي، ورحل إلى الشيخ شهاب الدين الأذرعي بحلب، وكتب عنه القوت، ولازم الشيخ سراج الدين البلقيني، ومهر في الفقه، وكان دينًا، خيرًا، متواضعًا، توفي في رجب سنة خمس وعشرين وثمانمائة بالقاهرة(٢).

١٤- أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن.

الإمام الحافظ الفقيه، المصنف، قاضي القضاة ولي الدين أبو زرعة، ولد في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وسبعمائة، لازم الشيخ سراج الدين البلقيني، وحفظ وكتب عنه الكثير، وأخذ عن علماء عصره، وناب في الحكم، ودرس في عدة أماكن، ثم استقر في جهات والده بعد وفاته.

ومن تصانيفه: تحرير الفتاوى على التنبيه، والمنهاج، والحاوي، واختصر المهمات، وغير ذلك.

توفي في شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة(٣).

١٥- إسماعيل بن أبي الحسن بن علي بن عبد الله.

العالم المعمر، مجد الدين أبو الفداء البرماوي المصري، ولد قبل الخمسين وسبعمائة بسنة أو سنتين، وأخذ عن الإسنوي، وأهل طبقته، ولازم الشيخ سراج الدين

---

(١) ينظر: السابق (٣/ ٥٤).

(٢) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٣/ ٧١).

(٣) ينظر: السابق (٣/ ٨٠).

البلقيني، واشتهر بمعرفة الفقه، توفي في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثمانمائة[١].

١٦- محمود بن علي بن إسماعيل بن يوسف، أبو الثناء التبريزي، القونوي الأصل.

ولد سنة تسع عشرة وسبعمائة.

قال الإسنوي: كان عالمًا بالفقه وأصوله، فاضلًا في العربية والمعاني والبيان، صالحًا، مجتهدًا في العبادة والتلاوة، محافظًا على أوقاته.

من تصانيفه: «شرح المختصر» لابن الحاجب.

توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وسبعمائة[٢].

وغيرهم من الذين نهلوا من معارف الشيخ وعلومه.

خامسًا: تصانيفه:

أسهم الإسنوي في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات النفيسة في شتى علوم المعرفة، ومن أبرزها ما يلي:

١- الأشباه والنظائر.

٢- نهاية السول في شرح منهاج الأصول.

٣- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول.

٤- الهداية إلى أوهام الكفاية.

٥- شرح منهاج الفقه.

٦- جواهر البحرين في تناقض الحبرين، ويقصد بهما: الرافعي والنووي.

٧- نزهة النواظر في رياض النظائر.

٨- المفيد في النحو.

٩- طبقات الشافعية.

١٠- المهمات، في شرح الرافعي والروضة.

١١- تذكرة النبيه في تصحيح التنبيه، وسماه بعضهم بالتصحيح.

---

(١) ينظر: السابق (٣/ ٨٦).

(٢) ينظر: السابق (٣/ ٧٢)، وطبقات السبكي (١٠/ ٣٨٤).

١٢- الكوكب الدري في تخريج مسائل الفقه على النحو.

١٣- نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب.

١٤- كافي المحتاج في شرح المنهاج، وهو منهاج الإمام النووي وصل به الشيخ -رحمه الله- إلى كتاب المساقاة.

١٥- مطالع الدقائق في تحرير الجوامع والفوارق.

١٦- إيضاح المشكل في أحكام الخنثى المشكل، ويسمى: أحكام الخناثى.

١٧- التنقيح فيما يرد على التصحيح، ويسمى: التنقيح لمشكلات التصحيح.

١٨- زوائد الأصول، على منهاج الوصول للبيضاوي.

١٩- طراز المحافل في ألغاز المسائل، ويذكره بعضهم بالألغاز.

٢٠- شرح ألفية ابن مالك.

٢١- نصيحة أولي النهى في منع استخدام النصارى، وسماه الجلال السيوطي بـ «الرئاسة الناصرية في الرد على من يعظم أهل الذمة، ويستخدمهم على المسلمين».

٢٢- تلخيص الشرح الصغير، لم يتمه، وصل فيه إلى كتاب البيع.

٢٣- تلخيص الشرح الكبير.

٢٤- شرح أنوار التنزيل للبيضاوي، وهو في التفسير.

٢٥- الجواهر المضية في شرح مقدمة الرحبية في علم الفرائض.

٢٦- شرح التعجيز لابن يونس.

٢٧- المسائل الإسنوية، أرسلها إلى الشيخ شرف الدين البارزي.

٢٨- شرح التسهيل، لابن مالك، لم يتمه.

وغير ذلك من المصنفات التي نهل منها أرباب المعرفة والعلوم.

سادسًا: المناصب التي تولاها، والمدارس التي درس بها:

تصدى الإسنوي -رحمه الله- للأشغال والتصنيف، وصار أحد مشايخ القاهرة المشار إليهم.

وتقلد مناصب مهمة في الدولة، منها: الحسبة، ووكالة بيت المال، ونظر دار الطراز، ومشيخة السادة الشافعية، والإفتاء.

كما درّس في عدد من مدارس القاهرة الكبرى، ومن أبرز هذه المدارس ما يلي:

١- الأقبغاوية.

وهي المدرسة التي أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد، وانتهى منها سنة أربعين وسبعمائة، بجوار الجامع الأزهر، وألحقت به في القرن الثاني عشر الهجري.

وتُعَدُّ هذه المدرسة من أهم المدارس في ذلك الوقت في دراسة الفقه الشافعي والحنفي[١].

٢- الفاضلية.

وهي المدرسة التي بناها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، بجوار داره، وتُعَدُّ من المدارس ذات الشأن في دراسة العلوم والمعارف، وقد وقفت على طائفتي الشافعية والمالكية[٢].

٣- الفارسية.

وهذه المدرسة كانت في القديم موضع كنيسة، تسمى: كنيسة الفهادين، فهدمت، وبني مكانها هذه المدرسة[٣].

٤- المدرسة الملكية.

وهي المدرسة التي بناها الأمير سيف الدين آل الجوكندار، تجاه داره، سنة تسع عشرة وسبعمائة.

وكان يُعْقَد فيها درسٌ للشافعي، ولها أوقاف[٤].

٥- الناصرية.

وهي المدرسة التي ابتدأها العادل كتبغا، وأتمها الناصر بن قلاوون.

قال المقريزي: «أدركت هذه المدرسة، وهي محترمة للغاية»[٥].

وفُرِغَ من بنائها سنة ثلاث وسبعمائة.

---

(١) الخطط (٢/ ٣٨٣).

(٢) السابق (٢/ ٣٦٦).

(٣) السابق (٢/ ٢٦٥).

(٤) السابق (٢/ ٣٩٢).

(٥) ينظر: السابق (٣/ ٣٤٦)، وحسن المحاضرة (٢/ ٢٢٩).

٦- المنصورية.

وهي المدرسة التي أنشأها المنصور قلاوون سنة اثنتين وثمانين وستمائة، ودفن هو وبعض أبنائه فيها، وكان يُعْقَد فيها دروس الفقه على المذاهب الأربعة، ولها أوقاف كثيرة[(١)].

٧- جامع ابن طولون.

وهو الجامع الذي بناه أحمد بن طولون، وقد اعتنى بهذا الجامع سلاطين المماليك، ومنهم السلطان «لاجين»، الذي أمر بتجديد هذا الجامع، ووقف عليه أوقافًا ثمينة، ورتب فيه درس الفقه والحديث والتفسير والفقه على المذاهب الأربعة[(٢)].

سابعًا: ثناء العلماء عليه:

أثنى على الإمام الإسنوي أصحاب السير والتراجم، وعلماء عصره؛ لما كان يتمتع به من أخلاق عالية، وصفات حميدة، فكان مما قيل فيه ما يلي:

قال ابن الملقن:

شيخ الشافعية، ومفتيهم، ومصنفهم، ومدرسهم، ذو الفنون: الأصول والفقه والعربية وغير ذلك.

وقال ابن قاضي شهبة في الطبقات، ونقله عنه ابن العماد:

الإمام العلامة منقح الألفاظ ومحقق المعاني[(٣)].

وقال جلال الدين السيوطي:

برع في الفقه، والأصلين، والعربية، وانتهت إليه رياسة الشافعية.

وصار المشار إليه بالديار المصرية، ودرّس، وأفتى، وازدحمت عليه الطلبة، وانتفعوا به، وكثرت تلامذته، وكانت أوقاته محفوظة مستوعبة للأشغال والتصنيف،

---

(١) ينظر: الخطط (٣/ ٣٤٢).

(٢) ينظر: حسن المحاضرة، للسيوطي (٢/ ٢١٨)، والخطط للمقريزي (٣/ ١٤٣).

(٣) طبقات الشافعية (٣/ ٩٨)، وشذرات الذهب (٦/ ٢٢٣).

وكان ناصحًا في التعليم مع البر والدين والتواضع والتودد، يقرب الضعيف المستهان، ويحرص على إيصال الفائدة للبليد، ويذكر عنده المبتدئُ الفائدة المطروقة، فيصغي إليه كأنه لم يسمعها؛ جبرًا لخاطره، مع فصاحة العبارة، وحلاوة المحاضرة والمروءة البالغة(١).

وقال ابن تغري بردي:

كان إمامًا عالمًا مصنفًا بارعًا، درَّس بالأقبغاوية، والفاضلية، والفارسية(٢).

وقال أبو العز بن حبيب فيما نقله الحافظ ابن حجر عنه:

إمام يَمُّ علمه عَجَّاج، وماء فضله ثَجَّاج، ولسان قلمه عن المشكلات فجاج، كان بحرًا في الفروع والأصول، محققًا لما يقول من النقول، تخرج به الفضلاء، وانتفع به العلماء(٣).

وقال الشوكاني:

أفرد له العراقي ترجمة، ذكر فيها يسيرًا من مناقبه وفضائله ونظمه، وبالغ في الثناء عليه، وكان هو يحبه ويعظمه(٤).

وقال ابن هداية الله:

كان إمامًا في الفقه، وأكثر أهل زمانه اطلاعًا على كتب المذهب.

ثامنًا: وفاته ورثاؤه:

توفي الشيخ العلامة جمال الدين الإسنوي -رحمه الله تعالى- بعد حياة، حافلة، مباركة، بما حوته من بركات العلم، ونفحات المعرفة في ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، وله سبع وستون عامًا.

ولمَّا كان الموت هو آخر المطاف في هذه الدنيا، وآخر التجارب التي يمر بها الإنسان على وجه الأرض، صار هو المأساة الكبرى، والحدث المفجع المثير

---

(١) بغية الوعاة (٢/ ٩٢).
(٢) النجوم الزاهرة (١١/ ١١٤).
(٣) الدرر الكامنة (٣/ ١٤٩).
(٤) البدر الطالع (١/ ٣٥٣).

لشجون وعَبرات البشر؛ وعَدُّوه المصَاب الأكبر في الوجود الإنساني، ومن ثم انطلق المصابون في رثاء موتاهم، وصار الرثاء والموت توأمين، فحيثما كان الموت تولَّد الرثاء؛ ولذلك فإنه ليس ثمة مجتمع لم يعرف هذا الفن؛ لأنه لا توجد أمة لا تعرف الموت.

وقد كان موت الإسنوي مصابًا فادحًا للعلماء وطلاب العلم في عصره؛ ولذا انطلق برهان الدين الطائي القيراطي، يرثيه في قصيدة رائعة، أظهر فيها حزنًا عميقًا عليه، قال فيها: [الطويل]

نعم قبضت روح العلا والفضائل ... بموت جمال الدين صدر الأفاضل
تعطل من عبد الرحيم مكانه ... وغيب عنه فاضل أي فاضل
أحقًّا وجوه الفقه زال جمالها ... وحطت أعالي هضبها للأسافل؟!
لقد هاب طرق المذهب اليوم سالكٌ ... ولو كان يحمى بالقنا والقنابل
لقد حل في ذي العام فقدان عالم ... يقول فلا يلفى له غير قائل
قفوا خبرونا من يقوم مقامه ... ومن ذا يرد الآن لهفة سائل؟!
قفوا خبرونا من يوقف ظالمًا ... ويجري في ميدان كل مناضل؟!
قفوا خبرونا هل له من مشابه؟! ... قفوا خبرونا هل له من مماثل؟!
فأعظمْ بحَبرٍ كان للعلم ساعيًا! ... بعزم صحيح ليس بالمتكاسل
وأعظم به يوم الجدال مناظرًا! ... إذا قال لم يترك مقالًا لقائل
وأسيافه في البحث قاطعة الظبا ... بجوهرها لم تفتقر للصياقل
يقوم بإنضاج المسائل مرشدًا ... لمستفهم أو طالب أو مُسَائل
ويجمع أشتات الفوائد جاهدًا ... ويسعى بجد نحوها غير هازل
طوى الموت حقًّا شافعيَّ زمانه؟! ... فَمِنْ بعده للأم وَجْدُ الثواكل
أبان الخفايا شارحًا ببيانه ... منزهة في الوصف عن سحر بابل
له قدم في الفقه سابقة الخطا ... يقصر عنها كل حافٍ وناعل
تبارك من أعطاه فيه مراتبًا ... يُقر له بالفضل كل مجادل

فكم كان يبدي فيه كل غريبة ... ويظهر من أبكاره بالعقائل!
وكم بات يحيي فيه ليلًا كأنما ... يصيد دراري زهره بالحبائل
فأقلامه قيد الأوابد لم تزل ... يقيد منها كل صعب التناول
مثقفة ألفاظه حلوة الجنى ... فما هز في الحالين غير عوامل
مضى فمضى فقه كثير إلى الثرى ... وهالت عليه الترب راحة هائل
تنكرت الدنيا ولكن تعرفت ... بطيب الثنا عن فضله المتكامل
وما شقت الأقلام إلا تعسفا ... لفقدانها - بالرغم - خير أنامل
وكم لبست ثوب الحداد محابر ... لحبر غدا في سندسٍ أي رافل
لقد كان للأصحاب منه بلا مرا ... جمال، فدع قول الغبي المجامل
حوى من مواريث النبوة إرثه ... وحاز حقيقًا سهمه غير عائل
هو النجم إلا أنه البدر كاملا ... على أنه شمس الضحى في التعادل
وبلدته إسنا محلًّا ومحتدًا ... ومنزله في الخلد أسنى المنازل
صدوق لدى عزو النقول محقق ... وحاشاه من تلك النقول البواطل
وسحبان نطق في الدروس فصاحة ... فدع من له في درسه عيّ باقل
يؤدي من الأشغال بالعلم للورى ... فروضًا ويفتي مقدمًا بالنوافل
وينهر نص الشافعي ولم يزل ... يناضل عنه كل خصم مناضل
حوى العلم والعلياء والجود والتقى ... وحاز بسبق فضل هذي الخصائل
هو النجم من أفق المعارف قد هوى ... فعاد دجى ضوء البدور الكوامل
هو الجبل الراسي تصدع ركنه ... فللأرض ميد بعده بالزلازل
فمن ذا تطيب النفس يومًا بقوله ... إذا هو أفتى في عويص المسائل
لئن مهد التمهيد مضجعه له ... فكوكبه من بعده غير آفل
فيا عالمًا قد أذكر الناس آخرًا ... مزايا أولي العلم الكرام الأوائل
كفيت الورى أمر المهمات ناهضًا ... بأعبائها، يا خير كافٍ وكافل

وأعملت فيها الدهر حتى تنقحت ولم تشتغل عن أمرها بالشواغل
وأبرزت مكنون الجواهر للورى لأنك بحر ما له من مساحل
وأوضحت في الإيضاح للخلق مشكلا فليس يرى في حسنه من مشاكل
وإن جمعت أهلَ العلوم محافلٌ فألغازك العليا طراز المحافل
فُرُوقك يا من كان للعلم جامعًا تحير أذهان الرجال الأماثل
تصانيف لا تخفى محاسنها التي هدايتها تهدي الورى بالدلائل
وتبدو فتغني عن رياض أنيقة وتتلى فتغني عن سماع البلابل
تمحض منها القصد فيها فأرشدت حيارى ثووا من جهلهم في مجاهل
توفر سهمًا في الأصول لأجله غدا السيف نائي الحد واهي الحمائل
لعمرك إن النحو يا زيد قد بدا لموتك في حال من الحزن حائل
فلو فارسي الفن غامرك اغتدى لنحوك يسعى وهو في زي راجل
عدمناك شيخًا كم جلا من علومه عقائل صينت بعده في معاقل
وكم جاء في فن الخليل بن أحمد بأحمد أقوال أتت بالفواصل!
لئن نال أسباب السماء بعلمه فأوتاده في المجد غير مزايل
وأَدْمُعُنَا بَحْرٌ مديد وحزننا طويل لبحر وافر الجود كامل
وكان أبًا للطالبين يريهم فواصله مقرونة بالفضائل
نصيحًا لطلاب العلوم جميعهم فلم يألُ جهدًا عند تعليم جاهل
يحرر في علم ابن إدريس للورى دروسًا تولى حملها خير حامل
ويرشد بالتهذيب طلاب علمه فينظر منهم كاملًا بعد كامل
ولا يرتئي في شكره غير حاسد ولا يمتري في علمه غير ناكل
يجود بأنواع الفضائل جهرة ويجهد في إخفائها للفواضل
هو البحر علمًا بل هو البحر في ندى لقد مرج البحرين منه لآمل
ولو شاهد القفال يومًا دروسه لما كان يومًا عن حماه بقافل

ترنم في أمداحه كل صادق ... فأطرب في إنشادها سمع ذاهل
سأبكيه بالدُّرين: دمع ومنطق ... لبحرين من علم وبر حواصل
لقد هجرت صاد المناصب نفسه ... كما هجرت راء الهجا نفس واصل
تنزه عنها وهي لا تستفزه ... بزخرفها الخداع خدع المجامل
وما مد عينًا نحوها إذ تبرجت ... تبرج حسناء الحلى في الغلائل
ويلقاك بالترحيب والبشر دائمًا ... فلم تره إلا كريم الشمائل
صفت منه أخلاق لقاصده كما ... صفا منه للعافين شرب المناهل
أُعزي محاريب العلا بإمامها ... وإن كان مأمومًا بأعظم نازل
أعزي دروس الفقه بعد دروسها ... لتصديرهم من بعده كل خامل
فقل لحسود لا يسد مكانه ... سيفضحك التخجيل بين المحافل
بحق حوى عبدُ الرحيم سيادة ... وأعداؤه كم حاولوها بباطل
تطاول قوم كي يَحُلوا محله ... فما ظفروا مما تمنوا بطائل
أتمتد نحو النجم راحة قاصر ... وأين الثريا من يد المتناول؟!
ومن رام في الإقراء عاليَ شأنه ... فذلك عند الناس ليس بعاقل
أحل جمالَ الدين في الخلد ربُّه ... ليحظى بعفو منه شافٍ وشامل
وروَّاه مولاه الرحيم برحمة ... يحييه منها هاطل بعد هاطل
ووافاه رضوان الجنان مبادرًا ... بشيرًا برضوان سريع معاجل
وحياه بالريحان والروح والرضا ... إله البرايا في الضحى والأصائل
لقد كان في الأعمال والعلم مخلصًا ... لمن لم يُضَيِّع في غد سعي عامل
فلهفي لأمداح عليه تحولت ... مراثي تبكي بالدموع الهوامل
تساعدني فيها الحمام بشجوها ... وأغلبها من لوعتي بالبلابل
صرفت عليه كنز صبري وأدمعي ... فأفنيت من هذا وهذا حواصلي
سأنشد قبرًا حل فيه رثاءه ... وأُسمِع ما أمليه صمَّ الجنادل

وما نحن إلا ركب موت إلى البلى تسيِّرنا أيامنا كالرواحل
قطعنا إلى نحو القبور مراحلًا وما بقيت إلا أقل المراحل
وهذا سبيل العالمين جميعهم فما الناس إلا راحل بعد راحل

* * *

المبحث السادس

حول كتاب كفاية النبيه

أولاً: اسم الكتاب.

يتضح من المقدمة التي قدم بها ابن الرفعة لشرح التنبيه أنه وضع لهذا الشرح اسمين، حيث قال بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ، وأثنى على علم الفقه وتعلمه: «سميت المخطوط بكفاية النبيه».

ولكنه قال بعد ذلك: «ولكن الكتاب في الحقيقة يسمى ببداية الفقيه»، ثم أخذ يدلل على صحة هذه التسمية الأخيرة بقوله: «وحقيق بمن يصدق هذا القول أو ينفيه ألا يعجل، ويُنْعِم فَيُطالع ما فيه، فظني أنه مستودع لأكثر ما في الكتب من المنقول والفوائد المأثورة»[1].

وفي الحقيقة أن ابن الرفعة قد وافقه الصواب في هاتين التسميتين؛ لأنهما وجهان لعملة واحدة؛ فإن تحقق الكفاية للنبيه تضع قدمه على أول سلم الفقه، فتكون كفاية النبيه هي بداية الفقيه.

وقد اشتمل هذا السفر الجليل على ما يجعله حقيقًا بهاتين التسميتين؛ لأنه كما يقول حاجي خليفة[2] في كشف الظنون - منوهًا بمادة الكتاب قد «اشتمل على غرائب وفوائد كثيرة»، ولا يعرف تلك الغرائب إلا صاحب اللب النبيه.

ويقول صاحب مرآة الجنان: إن ابن الرفعة في هذا الكتاب قد جاء بالغرائب المفيدة لكل طالب، بل لكل عالم ذي فهم ثاقب.

---

(١) ينظر: كفاية النبيه شرح التنبيه نسخة رقم (٢٢٨) فقه شافعي (١/ ١) مخطوط بدار الكتب المصرية ميكرو فيلم، رقم (٦٩٩٩).

(٢) حاجي خليفة هو: مصطفى بن عبد الله، كاتب جلبي، حاجي خليفة، ولد بالقسطنطينية سنة سبع عشرة وألف هـ، تركي الأصل، من المستعربين، عمل في الجيش العثماني مدة، وانقطع في آخر حياته للتدريس. من تصانيفه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وتحفة الكبار في أسفار البحار، وتقويم التواريخ، وغير ذلك، توفي سنة سبع وستين وألف هـ.
ينظر: آداب اللغة (٣/ ٣١٧)، ومعجم المطبوعات، ص (٧٣٢).

ومما لا شك فيه أن احتواء كتاب (كفاية النبيه) على جميع النقول في الفقه للمذهب الشافعي - يمكن المقلد من الإحاطة بجميع فروع وجزئيات هذا مذهب، كما أنه يسهم في تنمية المهارات الفقهية للمجتهد.

بل إنه لا غرو أن نقل ابن الرفعة لجميع أقوال الإمام الشافعي وحده يجعل المجتهد أمام باب من الفقه متسع الأرجاء.

ثانيًا: أماكن الكتاب في دور المخطوطات، ووصف نسخه.

يوجد مخطوط (كفاية النبيه) في مكتبتين كبيرتين بمدينة القاهرة:

المكتبة الأولى: مكتبة الأزهر، وهي مكتبة زاخرة بالتراث الإسلامي.

المكتبة الثانية: مكتبة دار الكتب المصرية، وهي من أهم دور المكتبات في مصر.

وباستقراء النسخ الموجودة للكتاب في كلتا المكتبتين، لم أجد نسخة كاملة للمخطوط فيهما.

ففي المكتبة الأزهرية، يوجد ثلاث نسخ مخطوطة من الكتاب، كلٌّ منها ناقصة كالآتي.

النسخة الأولى: يوجد منها جزآن هما: الخامس، والسادس، في مجلدين بقلم معتاد أحدهما يقع في (٢٤٦) ورقة والآخر يقع في (٢٣٤) ورقة، وعدد أسطر الورقة (٣١) سطرًا بمقاس (٢٧سم) تحت رقم (٤٧٨) ٣٢٧٢ .

النسخة الثانية: يوجد منها أربعة أجزاء، وهي: الثاني، والثالث، والخامس، والسادس.

ويبتدئ الجزء الثاني بصلاة العيدين، وفي آخره نقص.

والجزء الثالث به نقص من أوله، وينتهي إلى باب الإجارة.

والجزء الخامس بأوله وآخره نقص.

والجزء السادس يبتدئ بباب الرجعة.

وعدد أوراق هذه الأجزاء على الترتيب (٢٣٥، ١٨٩، ١٥٦، ٢٤٢) ورقة، وعدد أسطر الورقة (٢٧)، بمقاس، (٢٦سم).

وتقع تلك الأجزاء تحت رقم (٧٦٣) ٦٨٥.

النسخة الثالثة: تقع هذه النسخة في ستة أجزاء، هي الجزء الخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع.

كما يوجد جزء آخر لا يعرف ترتيبه ويبتدئ من أثناء الفيء، وينتهي إلى فرع: «إذا رأى الإمام أن يطيب قلوب الغانمين».

والجزء الخامس يبدأ بباب صفة الحج.

وينتهي الجزء التاسع بآخر الكتاب في ستة مجلدات.

وبهذه النسخة خروم وطمس في بعض الصفحات وعدد أوراق هذه الأجزاء - على الترتيب السابق - على النحو التالي: (٢٥٩، ١٩٤، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٤٩، ٥٩)، وتقع مسطراتها ما بين (٢٣، ٣٥) مسطرًا، بمقاس (٢٧سم)، تحت رقم (٢٦٧٥) عمروسي (٤٢٣٥٥).

ثالثًا: منهج المصنف في الكتاب.

أبان ابن الرفعة عن منهجه الذي انتهجه في هذا الكتاب، فقال:

«وتوسطت فيه طرفي التقليل والإسهاب، لينحل به مشكله - أي: التنبيه - ويفهم معناه ويظهر به ما أراده - يعني: الشيخ أبا إسحاق مصنف التنبيه - بمنطوقه وفحواه، ويتحقق به المتعنت السائل صدق قوله، وإذا قرأه المبتدئ، وتصوره، تنبه به على أكثر المسائل».

هكذا أبان ابن الرفعة عن الأسلوب الذي انتهجه في هذا السفر الجليل؛ حيث جاء أسلوبًا وسطًا بعيدًا عن القلة المخلة بالمعنى، وعن الكثرة المملة التي فيها تكرار بدون فائدة.

وعلاوة على ذلك امتاز أسلوب ابن الرفعة بوضوح العبارة، والبعد عن الألفاظ الغامضة الصعبة، حتى عند ذكره للمصطلحات الفقهية، كان يذكر معناها من كتب اللغة في بعض الأحيان.

كما امتاز أسلوب ابن الرفعة في نقله للفروع الفقهية بالدقة وأمانة النقل من المصادر الفقهية وغيرها، ثم إنه لم يكتفِ بذلك، ولم يجعل نقله للنصوص آليًا، بل نظر في تلك النصوص نظرة أوسع وأشمل، وبناء على تلك النظرة التي اتسمت بسعة الأفق حقق الإمام في المنقول، وناقش فيه، فدقق، ورجَّح فوضح، وخرج فأوضح، وأوسع المجال وصال.

وكان ابن الرفعة يكتفي بشهرة المنقول عن عزوه إلى مصدره، ويحرص على عزو

ما لم يشتهر من النقول حتى لا ينكره من لا يعرفه.

وقد قرر ذلك في مقدمة الكتاب بقوله: «وقد اعتمدت في المنقول أن أرسله إذا كان مذكورًا في مظنته من كتاب مشهور، وأن أعزوه إلى قائله أو محله إن فقد ذلك، كي لا يقع في إنكاره الجاهل المغرور.

وتارة أعزوه إلى كتاب كبير مع أنه في كتاب صغير؛ ليعلم تضافر النقل عليه فينتفي تطرق الاحتمال إليه».

ومن هذا النص وغيره يتضح لنا عدة نقاط خاصة بمنهج ابن الرفعة في هذا السفر العظيم، كالآتي:

١- أنه قدم النقل من الكتب المشهورة على غيرها من بقية كتب المذهب ومن أمثال هذا الكتب المشهورة التي قدمها على غيرها: كتاب الأم، ومختصر المزني، والوسيط للغزالي.

فإن لم يكن القول المنقول من كتاب مشهور، عزاه إلى قائله، أو إلى محله من أي كتاب، سواء كان كبيرًا غير مشهور، أم كتابًا صغيرًا.

٢- أنه يقدم الكتاب الكبير على الكتاب الصغير في النقل، فمثلًا إذا وجد القول في كتاب الوسيط للإمام الغزالي ووجد أيضًا في كتاب الوجيز للغزالي فإن ابن الرفعة يقدم النقل من كتاب الوسيط باعتباره الكتاب الأكبر، وقد علل ذلك بقوله: «ليعلم تضافر النقل عليه، فينتفي تطرق الاحتمال إليه».

٣- أن ابن الرفعة فيما ينقله من نقول، لم يكن مجرد حاطب ليل وإنما كان صاحب منهج ورؤية لها ما يبررها، ويعللها؛ كما يتضح ذلك جليًّا من النص السابق، وكما يتضح لكل من تأمل (الكفاية) فإن من يتأملها يجد أن ابن الرفعة كان ينظر في النقل نظرة الفقيه، فيقطف من ثمار المنقول الفقهية الغضة المتجددة بالعطاء الفقهي على مر الزمان والأرجاء ويحرر منها الفوائد، ويستنبط منها الأوجه والأقوال الفقهية وقد أكد ذلك بقوله:

«واعتمدت في تحرير الفوائد، وترتيب القواعد أن أذكرها في معرض السؤال إن بَعُدَ كلام الشيخ عن تلك المقاصد، وكثيرًا ما أذكر قولًا أو وجهًا في المسألة، ثم أقول: «ويتجه، أو ينبغي طرد ذلك في كذا» مما هو شبيه بالمسألة، ولست أروم بذلك تخريج وجه فيها، ولكن أقوله تقوية للجمع بين المسألتين، وطلبًا للفرق بين

المأخذين، فقد قيل: ينبغي لمن حاول الخوض فيما سبق -يقصد التصنيف- أن يعتمد خمسة أمور: جمع مفترق، وإيضاح مغلق، وإفهام مجمل، وإيجاز مطول، واختراع مستحسن.

وبالإضافة إلى ذلك كله، فقد اهتم ابن الرفعة بذكر الأدلة من الكتاب والسنة فكان يحرص على ذكر موضع الشاهد من الآية، والحديث وكان في ذكره للأحاديث ربما يذكر الحديث كاملًا، وربما يقتصر على موضع الشاهد منه.

وفي معظم حالاته يخرج الحديث، فيقول - مثلا-: رواه البخاري، أو رواه مسلم، أو رواه أبو داود وهلم جرّا، وإن كان في الحديث إعلال نبه عليه.

كما اهتم ابن الرفعة -رحمه الله - بذكر المصطلحات العامة والخاصة التي انتهجها السادة الشافعية بينهم، سواء منها:

المصطلحات الأصولية، مثل: الأصل، والكتاب، والسنة، والوجوب، والإجماع، والقياس، والاجتهاد، والنسخ، والمباح، والمكروه، والحرام، والحقيقة، والمجاز.

أو المصطلحات الفقهية، مثل: الطهارة، والصلاة، والزكاة، والبيع، والسلم، والربا، والقسمة، والضمان، والرهن، والقرض، والعارية، والهبة، والشفعة، والإجارة، والنكاح، وغير ذلك من المصطلحات الفقهية.

كما ذكر مصطلحات لغوية كثيرة، لا يتسع المقام لحصرها هنا؛ نظرًا لكثرتها.

وكان ابن الرفعة في بعض الأحيان يوضح معاني هذه المصطلحات بالرجوع إلى من معاجم لغوية شهيرة؛ مثل: معجم تهذيب اللغة للأزهري، ومعجم الصحاح للجوهري، وغيرهما من متون اللغة المعروفة.

رابعًا: المصادر التي اعتمد عليها في كتابه.

اعتمد الإمام نجم الدين ابن الرفعة على غالب كتب الشافعية، وكُتب السنة المطهرة المعتمدة، والمعاجم، والمسانيد، وغيرها من المصادر والمراجع، ومن أبرز هذه المصادر التي اعتمد عليها ما يلي:

١- الأم: للإمام الشافعي.

٢- مختصر المزني: للمزني.

٣- مختصر البويطي: للبويطي.

٤- نهاية المطلب في دراية المذهب: لإمام الحرمين.
٥- بحر المذهب: للروياني.
٦- الإملاء: للشافعي.
٧- الجامع الكبير: للمزني.
٨- الجامع الصغير: للمزني.
٩- الحاوي: للماوردي.
١٠- الأحكام السلطانية: للماوردي.
١١- الوسيط: للغزالي.
١٢- الوجيز: للغزالي.
١٣- الشامل: لابن الصباغ.
١٤- الإيضاح: للصيمري.
١٥- البيان: للعمراني.
١٦- تتمة الإبانة: للمتولي.
١٧- التعليقة: للقاضي الحسين.
١٨- التعليقة: للبندنيجي.
١٩- التهذيب: للبغوي.
٢٠- الجامع: لأبي حامد.
٢١- الذخائر: لمجلي.
٢٢- الرقم: للعبادي.
٢٣- روضة الطالبين: للنووي.
٢٤- المحرر: للرافعي.
٢٥- شرح التلخيص: للسنجي.
٢٦- العمدة: للشيخ أبي علي الطبري.
٢٧- فتاوى الغزالي: للغزالي.
٢٨- المجرد: لسليم الرازي.
٢٩- المعتمد: للشاشي.
٣٠- المهذب: للشيرازي.